الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

٢٤

السنة الرابعة- عدد (٢٤)
١٥/ شوال/ ١٤٢٠هـ

فضيلة الشيخ السدلان:

إننا في زمان اختلّ فيه معيار كثير من العامة؛ فجعلوا كل من وعظ موعظة بليغة، أو ألقى محاضرة هادفة، أو خطب مرتجلاً يوم الجمعة عدّوه عالماً يرجع إليه في الإفتاء!!

•• فاتحة القول:

وليُدرك أهل الحق، أن حفظ ميراث النبوة في النفوس والتمكين له في الأرض لا يكون إلاّ بالاجتماع على الحق المبين.

أهل السنة:

يُحكّمون الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح - لهم وعليهم -، ولا يقدّمون على ذلك عقلاً أو عادةً أو مكاشفة، أو ذوقاً أو مناماً أو حزباً.

أبو الحسن المأربي

في هذا العدد

- معوقات في طريق العلم الشرعي ..... الشيخ صالح السدلان
- الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند النقد ..... الشيخ زيد بن محمد المدخلي
- أسطورة «وامعتصماه!» ..... الشيخ سعد الحصين
- رفع الحجاب عن الفرق بين دعوة أهل السنة ودعوة أهل البدع والأحزاب ..... الشيخ أبو الحسن المأربي
- ذكرياتي عن أول لقاء بمحدث العصر (الألباني) ..... الشيخ حمدي عبدالمجيد السلفي
- فتوى وبيان: خارجيّة عصريّة ..... الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

العدد: ٢٤

السنة الرابعة - ١٥ / شوال / ١٤٢٠هـ

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

■ أسرة التحرير:

الشيخ سليم بن عيد الهلالي..... رئيساً

الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر..... عضواً

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري..... عضواً

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان..... عضواً

إخواننا القراء:

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بنّاء.

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع إلى الحق

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -

الاشتراكات:

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة:

- الأردن: دينار واحد.
- الإمارات المتحدة: ١٠ دراهم.
- البحرين: دينار واحد.
- السعودية: ١٠ ريالات.
- الكويت: ٨٠٠ فلس.
- أوروبا: ٤ دولارات.
- أمريكا: ٥ دولارات.

صف وإخراج فني، أيهم عماد الدين جابر

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤ / ٣ / ١٣٢٨)

عنوان المراسلة

الأردن:
عمان - مخيم حطين
ص.ب (٩٨)
رمز بريدي (١٣٧٨١).

تطلب الأصالة من

الولايات المتحدة:
AL_QURAN WAS-SUNNAH SOCIET (QSS)
19800 VAN DYKERD
Detroit MI 48234-3354
Tel: (313) 893-3768
Fax: (313) 893-3748

كندا:
ASSOCIATION MUSULMANE DEMONTREAL - EST.
3445. JEAN - TALON EST. ST-LEONARD H29 1×1
Tel. 514-374-9572
Fax: 514-374-9660

اليمن:
مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٦٢٠٢٢٧ - ٢٦٣٩١٤ .

الإمارات:
مكتبة الفرقان - عجمان ص.ب (٢٠٢٨٨) هاتف وفاكس (٤٤٤٤٣٥).

● وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

خطبة الحاجة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ -وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

محتويات العدد

- **فاتحة القول: صولة الحق.. والمسؤولية الكبرى:**

التحرير ٥

- **تأملات قرآنية: الساعي إلى سبيل الرشاد:**

الشيخ فتحي عبدالله سلطان ٨

- **الكلم الطيب: تنبيه العبد الأوّاه:**

الشيخ سليم بن عيد الهلالي ١٤

- **مباحث عقديّة: شروط لا إله إلا الله:**

عبدالله بن محمد الجونم ٢١

- **مباحث حديثيّة: التحذير من الكذب على الله ورسوله:**

الشيخ د: محمد موسى نصر ٢٦

- **الكتب تعريفاً ونقداً: أمالي نظام الملك:**

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ٢٩

- **من ديوان الشعر: أرجوزة السلام في مجددي الإسلام:**

أبو ليلى فهد البلادي ٣٥

- **السياسة الشرعية: نيل السؤدد بالعلم:**

الشيخ عبدالمالك الجزائري ٤٠

- **السلوك وتزكية النفوس: التوضيح والبيان لمعاني الإحسان:**

أبو عبدالرحمن محمد المهر ٤٥

● **من جعبة التاريخ: أسطورة: وامعتصماه..!**

الشيخ سعد الحصيّن ٥٠

● **من آفات الطريق: المنُّ سوءٌ...**

الشيخ علي بن حسن الحلبي ٥٣

● **تصفية وتربية: معوقات في طريق العلم الشرعي:**

فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان ٥٥

● **مفاهيم يجب أن تصحح: الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند النقد:**

الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي ٦٢

● **كلمات في الدعوة والمنهاج: رفع الحجاب عن الفرق بين دعوة أهل السنة ودعوة أهل الأحزاب:**

الشيخ أبو الحسن المأربي ٦٧

● **أضواء على كتاب: منهج الإمام الطبري في تفسيره:**

أكرم بن محمد زيادة ٧٤

● **من ذاكرة المحبين: ذكرياتي عن أول لقاء بمحدّث العصر شيخنا الألباني:**

فضيلة الشيخ حمدي عبدالمجيد السلفي ٨٢

● **وفاءً ورثاءً: السَّنواء:**

أَمَةُ الله الجزائرية ٨٦

● **فتوى وبيان: خارجيّة عصريّة:**

الشيخ د: ربيع بن هادي المدخلي ٨٨

● **مسك الختام: من خصائص دعوتنا: تحرير العقول:**

التحرير ٩٠

فاتحة العدد

صولة الحقّ... والمسؤوليّةُ الكبرى

● بقلم: التحرير

إذا ظهر الحقُّ ظهوراً جلياً لم يبقَ آنذاك للمعارضاتِ الفكريةِ والمجادلاتِ العلميّةِ محل؛ وقتئذٍ معارضةُ الباطل لهذا الحق لا تزيده إلاّ وضوحاً وبياناً وعلواً؛ فكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، وتكاثرت أدلته، وعظم العمل الموصل إليه.. ولما كان بيانُ الحقّ أعظمَ المطالبِ وأجلها، صار القيام به واجب ومظاهرة أهله أوجب، وتمامُ الأمر: أن يجعل الداعي إلى سبيل الهدى الحقَّ منتهى قصده، وغاية عمله بعد إذ أدرك أن تمام التوفيق والسداد إنما يكون بالهداية إليه والاتفاق عليه؛ **فالحقَّ ظاهرٌ جليّ، وصولتُه على الباطل وأهله أظهر،** ومن لازم ذلك الظهور: أن يُعلمَ أنَّ الحقَّ إذا ذكر فلا ينصرف عند أهله إلاّ إلى منهج الحقِ -**منهج الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمة**-؛ فَجِماعُ الخير فيه، وليس لأحدٍ -كائناً من كان- أن يقيم على الجادة إلاّ بسلوك طريقه، واعتماد أصوله، وتعلم مفصله، وموالاة أهله...

والأمة الآخذة بقوائمه لا تكون إلاّ أمةً محروسةً ظاهرةً على سائر الأمم، وصولتها على الباطل قائمة بالحقّ وللحقّ ومع الحقّ.

إذن؛ فالحاجةُ إلى هذا المنهج الحقّ ليس فوقها حاجة لمن يريد الهداية إليه؛ فيقع على أهله بيانه واستظهاره بعد الإحاطة بنصوصه، ودراية مقاصده، ومعرفة أضداده، ولا سبيل لتمام ذلك كلّه إلا بالوقوف على سبيل المؤمنين في إحقاقهم للحق وإظهارهم له؛ بل وإدراك طريقة أهل الباطل في عداوتهم للحق وأهله؛ فلولا الباطل ما اتضح الحقُ اتضاحاً ظاهراً.

والأعراضُ عن المنهج الحق -وسيلةً أو مقصداً أو أدلةً- يورثُ مقالاتٍ باطلةٍ وأراءٍ شاذةٍ وأقيسةٍ فاسدة وتحرشاتٍ غامضة، وتكتيكات ساذجةٍ، لا سيما إذا اقترن مع ذلك إخضاع هذا المنهج -منهج القرون الخيريّة- للنظر العقلي المجرد، والهوى المتبع، والشح المطاع. .وذلك كله من موجبات الهلاك والدمار.

وحتى لا يتغيب أهل الحقِّ عن مسؤوليتهم -في استنقاذ ما أمكن استنقاذه-؛ فإن منهجَ الحقِّ يقضي عليهم بأمرين:

الأول: بأن لا يبصروا -أمام أعينهم- إلاّ منهج السلف حباً له، وخشيةً عليه: بأدلته، وثوابته، ومسائله، وأشياخه الفضلاء، وأعلامه النبلاء.

الأمر الثاني: بأن يعاملوا خصومهم -المعرضين عن منهج الحق- بالعلم، والحزم، والعدل؛ فعلمهم شامل، وخيرهم عام، وعدلهم قائم، وإحسانهم غالب.

وهم في استنقاذهم هذا -وحتى لا يتقهقروا عن مهمتهم في إظهار الحق وبيانه- لابد من التنبه والتيقظ من أي استدراج أو احتواء. . .

ولتمام البيان لابد من التذكير بحقيقتين:

الأولى: أنَّ المقصود من صولة الباطل دفع الحقّ وأهله، فأهل الباطل يرون أن المنهج الحقّ بمنزلة الصائل يدفع بكل شيء؛ فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم، وما هو داخل في مقدورهم من الأقوال والأفعال. . .؛ حتى اعتبروا دفع الحقّ مقصداً من مقصادهم، ومطلباً من مطالبهم، بل هو عندهم من الثوابت التي لا تتغير؛ **فمنهجُ السلف كالصائل عند أهل البدع والأهواء يجب دفعه بكل ما خطر ويخطر بالبال**؛ ولهذا فالجهل بثوابت الباطل، ومقاصده مانع من تصور الحق، والعمل به، والدعوة إليه.

الحقيقة الثانية: أنَّ للباطل صولةً وقت غفلة أهل الحقّ عنه؛ ولهذا فأنَّ استحضار الذكرى، واستنهاض الهمة، واستنفاذ العقول، مهمة أهل الحق في وقت صولة الباطل؛ وهم في مقاهم هذا يتعين عليهم أن يعتمدوا على ركن وثيق: وهو الحق المبين والتوكل على اللهِ في القيام به **﴿فتوكل على الله إنّك على الحق المبين﴾**.

وإذا ما اتضحت الحقائقُ في إطارها

العلمي السلفي الرصين، وبضوابطٍ منهجيّةٍ دقيقة، وبتمييز الحق من الباطل، آنذاك ينبغي عدم اهمال الخلافات التي تظهر بين أهل الحق بين حين وآخر؛ ليُكشف عن مضمونها؛ وهل هي في نطاق الخطأ البشري النفسي؛ أم في نطاق الدفاع عن المنهج الحق، وإيثار قواعدهِ وثوابته على سواها؟ مع أنّ الأمل الذي يسعى إليه المخلصون الربانيون أن تبقى كلمة أهل الحقّ محوطةً بأخوةٍ إيمانية حقة، وتعاون علمي صادق؛ **وأن يعالج الداء العضال الذي يعرض لأهل الدين الصحيح بأدوية الكتاب والسنة، وأغذية العلم والإيمان.**

وليُدرك أهل الحق -بعد ما عرفوا الحق وأحاطوا علماً به، ودرايةً بحدوده -أن حفظ ميراث النبوة في النفوس والتمكين له في الأرض لا يكون إلاّ بالاجتماع على الحق المبين، متذكرين قول الله -تعالى-: **﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مُبوأ صدقٍ ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.**

فما هذا الاختلاف في الحق بعد العلم به؟، وما هي آثار الأعراض عن هذا العلم (الموجب لاجتماعهم وائتلافهم، ولكن بغى بعضهم على بعض، **وصار لكثير منهم أهوية وأغراض تخالف الحق؛** فحصل بينهم من الاختلاف شيء كثير وهذا هو الداء، الذي يعرض لأهل الدين الصحيح وهو: أن الشيطان إذا أعجزه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فجعل من الاختلاف ما هو موجب ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض وعداوة بعضهم لبعض ما هو قرة عين اللعين!!

وإلاّ فإذا كان ربهم واحداً، ورسولهم واحداً، ودينهم واحداً، **(ومنهجهم واحداً)**، ومصالحهم العامة متفقه، فلأي شيء يختلفون اختلافاً، يفرق شملهم، ويشتت أمرهم، ويحل رابطتهم ونظامهم؛ فيفوت من مصالحهم الدينيّة والدنيويّة ما يفوت، ويموت من دينهم بسبب ذلك ما يموت؟!!

فنسألك اللهم لطفاً بعبادك المؤمنين، يجمع شملهم، ويرأب صدعهم، ويرد قاصيهم على دانيهم، يا ذا الجلال والإكرام)[1].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص٣٢٩، مؤسسة الرسالة.

تأملات قرآنية

الحلقة الثانية

الساعي إلى سبيل الرشاد

● بقلم: الشيخ فتحي عبدالله سلطان

● **﴿أما من استغنى. فأنت له تصدّى﴾:**

١٤- أي: استغنى بماله وقوّته عن سماع القرآن والهداية والموعظة، فأنت له تصدى، أي: تتعرض بالإقبال عليه، وتصغي له، رجاء أن يسلم ويهتدي!

١٥- ويدخل في هذا المعنى: أنه استغنى عن الله؛ فترك عبوديته جانباً، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها، ولا فلاح إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه[1].

وهذا هو الاستغناء المذموم الناتج عن جهلين:

أحدهما: جهل العبد بربه.

والثاني: جهله بمعرفة نفسه، فهذا الاستغناء: إما أن يكون في رؤية غنى نفسه لجهله بها؛ وهذا موجبه طغيان العبد؛ كما قال الله -تعالى-: **﴿كلا إن الأنسان ليطغى . أن رآه استغنى﴾**، أي: جعل الطغيان ناشئاً عن رؤيته غنى نفسه.

> **الاستغناء عن الله: سبب هلاك العبد، ورؤيته غنى نفسه: سبب طغيانه!!**

وإما أن يكون في استغنائه عن ربه بترك طاعته وعبوديته؛ وهذا موجبه الهلاك، وعدم تيسيره لليسرى، كما قال -تعالى-: **﴿وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾**.

والآية في سورة عبس: جمعت بين الأمرين الناتجين عن الجهل بالله -تعالى-

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٧ / ٦٣٨).

والجهل بالنفس، فالاستغناء عن الله؛ سبب هلاك العبد وتيسيره لكل عسرى، ورؤيته غنى نفسه؛ سبب طغيانه، وكلاهما مناف للفقر والعبودية[1].

الإنابة ... قرينة التذكرة، وسبب في تحصيل الخشية

● **﴿وما عليك ألا يزكى﴾:**

١٦- وفيها قطع الطمع وبتر الرجاء عن هداية وتزكية كل الخلق؛ لأن هذا حرص زائد على القدر مُفوّت لمصالح جمة، قال الرزاي في تفسير الأية: «أي: لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم، إلى أن تعرض عمن أسلم للاشتغال بدعوتهم».

١٧- وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفار لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلاً.

● **﴿وأما من جاءك يسعى﴾:**

١٨- أي: وصل إليك حال كونه مسرعاً في المجيء إليك طالباً منك أن ترشده، وتعظه بمواعظ الله[2].

فالآية: أثبتت له سعياً وقصداً في تحصيل المطلوب، وهذا السعي؛ يبعث على المقصود والمطلوب قصداً وطلباً، وعلى الخلق دعوة ونصحاً وحرصاً؛ كما قال -تعالى-: **﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾**.

١٩- وذِكرُ السعي زائداً على قدر المجيء، فيه إشعار بمدحه من جهة أنّ السعي فيه معنى الإسراع والإقبال، وهذا شرط في تحقق الإنابة.

فالإنابة تتضمن أربعة أمور: محبة الله، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

والمنيب إلى الله: المسرع إلى مرضاته، والراجع إليه كل، وقت المتقدم إلى محابه؛ فهذا الذي جاء يسعى، جاء منيباً مقبلاً على تحصيل المطلوب، ولما كان حاله كذلك؛ فإنّ رجاء تذكره حاصل لا محالة؛ لأن الإنابة قرينة التذكر وسبب في تحصيل الخشية، فقال -تعالى-: **﴿وهو يخشى﴾**.

٢٠- والخَشية: خوف مقرون بمعرفة؛ أي: معرفة جامعة بالله رباً ومعبوداً

(١) انظر مباحث الفقر في «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٣٤) وما بعدها.

(٢) الشوكاني في «فتح القدير» (٥ / ٣٨٣).

وبأسمائه وصفاته، وبشرعه: أمره ونهيه، وبوعده ووعيده.

والخشية تكون لمن عنده علم، قال -تعالى-: ﴿**إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء**﴾، وقال النبي ﷺ: «**إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية**»، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار جهلاً».

التذكرة... الإنابة... الخشية... التزكية
كلها اجتمعت للساعي إلى سبيل الرشاد

٢١- والخشية هنا مطلقة؛ أي: يخشى الله -تعالى-، ويخشى عذابه، والجملة حال من فاعل ﴿يسعى﴾، كما أنه حال من فاعل ﴿جاءك﴾.

أي: فحاله عند المجيء الإقبال والإسراع مع الخشية والخوف، وهذا ثناء عليه من جهة علمه؛ لأن صاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم، وثناء عليه من جهة عمل قلبه؛ لأن الإنابة من أخص أعمال القلوب.

فاجتمعت له صحة القوة العلمية وصدق القوة العملية الإرادية.

٢٢- فقُرن في هذا السياق بين الخشية والإنابة، والثانية قرينة التذكر، فيكون الأمر أيضاً من باب قرن الخشية بالتذكر، كما قال -تعالى-: ﴿سيذكر من يخشى﴾ وكذلك قرن الإنابة بالتذكر كما قال -تعالى-: ﴿**وما يتذكر إلا من ينيب**﴾، فاجتمعت لهذا الساعي إلى سبيل الرشاد: التذكر، والإنابة، والخشية فضلاً عن التزكية؛ فتأمل.

● **﴿فأنت عنه تَلَهَّى﴾:**

أي: فأنت تتشاغل بغيره وتعرض عن الساعي إلى سبيل الرشاد.

٢٣- وتقديم ضميره ﷺ -أي: ﴿فأنت﴾- على الفعلين على أن مثلك خصوصاً لا ينبغي أن يتصدى للمستغني، ويتشاغل عن الفقير الطالب للحق[1].

■ **تنبيه:**

فرق ظاهر بين اشتغال النبي ﷺ بهداية المعرض عن هداية المقبل؛ وبين تشاغله بفضول المباح عن واجب التبليغ، فالأول: اشتغال مخل بالكمال؛ لعدم مراعاة الأولوية فيه، والثاني: تشاغل مخل

(١) «تفسير أبي السعود» (٣ / ١٦٢).

بالأصل؛ فكان فعل النبي ﷺ من قبيل الأول[1] فتأمل.

٢٤- فوائد دعوية:

الأولى: قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى- في «تيسير الكريم» (٧ / ٥٦٨):

وهذه فائدة كبيرة هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه، مفتقراً لذلك، مقبلاً، هو الأليق الواجب؛ وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني، الذي لا يسأل، ولا يستغني لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه؛ فإنه لا ينبغي لك؛ فإنه ليس عليك أن لا يزكى فلو لم يَتزَكَّ فلست بمحاسب على ما عمله من الشر.

فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: «لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة».

وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه، أزيد من غيره». أهـ.

الثانية: إذا كان المدعو صاحب حكمة -أي: أنه من أهل الحق قائم به-؛ فهذا يقدم على غيره في التزكية والتذكر؛ لأنه جدير بالرعاية، ومصلحته راجحة على مصلحة غيره.

الثالثة: قال ابن حزم -رحمه الله تعالى- في «الفصل»: «وأما قوله: ﴿عبس وتولى﴾ -الآيات-، فإنه كان -عليه السلام- قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش، ورجا إسلامه، وعلم -عليه السلام- أنه لو أسلم لأسلم بإسلامه ناس كثير وأظهر الدين، وعلم أن هذا الأعمى الذي يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضر معه؛ فاشتغل عنه -عليه السلام- بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته، وهذا غاية النظر في الدين والاجتهاد في نصرة القرآن -في ظاهر الأمر- ونهاية التقرب إلى الله الذي لو

إذا كان المدعو صاحب حكمة؛ فهذا يقدم على غيره في التزكية والتذكرة؛ لأنه جدير بالرعاية

(١) في حين ذهب بعض أهل التفسر إلى أنّ مناط العتاب: إنما هو عتاب على العبوس والتولي، لا على ما حفّ بذلك من المبادرة بدعوةٍ أو تأخير إرشاد ؛ انظر «تفسير ابن عاشور» (١٥ / ١١٣).

فعله اليوم منا فاعل لأجر فعاتبه الله -عز وجل- على ذلك، إذ كان الأولى عند الله -تعالى- أن يُقبل على ذلك الأعمى الفاضل البر التقي، وهذا نفس ما قلناه».

الرابعة: قال ابن عاشور: «بل شأنُ مقوّم الأخلاق أنْ يكون بمثابة الطبيب بالنسبة إلى الطبائع والأمزجة؛ فلا يجعل لجميع الأمزجة علاجاً واحداً، بل الأمر يختلف؛ فهو مخاطب بالحفاظ على مصالح المجموع ومصالح الآحاد؛ بحيث لا يدحض مصالح الآحاد لأجل مصالح المجموع؛ إلّا إذا تعذر الجمع بين الصالح العام والصالح الخاص[1]». أ.هـ.

■ أهم ما أرشدت إليه الآيات:

١- إن الساعي -ابن أم مكتوم -رضي الله عنه- كان قاصداً سبيل الرشاد، وهي الهداية للإيمان والأعمال الصالحة.

٢- إن علة التولي ليست لذات مجيءِ الأعمى، إنما لمجيئه عند انشغال النبي ﷺ بهداية المعارض.

٣- إن عتاب الله -تعالى- لنبيه ﷺ عتاب تلطف ولين، وليس عتاب شدة وصعوبة.

٤- أن الساعي ذُكر بلقب يكرهه الناس، مع أن منتهى معاني الآيات تفيد مدحه والثناء عليه.

٥- كان ابن أم مكتوم كفيف البصر، لكنه وقّاد البصيرة؛ أبصر الحق وآمن به وجاء مع عماه يسعى طالباً المزيد.

٦- لا يجوز الإعراض عمن يرجى تزكيته، فكيف والحال لمن كان مقطوعاً بتزكيته؟!

٧- تقديم التزكية على التذكر من باب تقديم التخلية على التحلية.

٨- التزكية متضمنة لتحصيل الخير ودفع الشر، أي: هي معنى زائد على قدر التطهر من الذنوب فقط.

٩- الإيمان والقرآن غذاء القلب المتزكي، والتزكي عام لكل من آمن بالرسول، أما التذكر فهو مختص لمن له علوم يذكرها.

١٠- طريق الرشاد المتضمن التزكية والتذكر مسلّم للرسل، فلا يتحصل إلا من طريقهم تعليماً وبياناً ودعوة وإرشاداً...

١١- إن العبد إذا أناب إلى الله

(١) «التحرير والتنوير» (١٥ / ص ١٠٩ - ١١٠).

-تعالى- أبصر مواقع الآيات والعبر؛ فزال عنه الإعراض والعمى والغفلة.

١٢- بحسب قوة الإنابة والتذكر تشتد حاجة العبد إلى معرفة الأمر والنهي.

١٣- المنيب المتذكر هو من أهل الحكمة؛ فيجب أن يقدم على غيره في خطاب التزكي والتذكر.

١٤- السّاعي إلى سبيل الرشاد -وبعد أن يظفر بالدليل الهادي المفصل- يحتاج إلى أن يهتدي به وينتفع منه، وهذا لا يحصل إلا بإزالة الأسباب المعوقة لذلك.

١٥- إذا حصل نوع من الذهول والغفلة احتاجت النفس إلى تذكر علوم الفطرة المكملة بالشرعة المنزلة؛ لتحصيل مطالب الرسالة الضرورية من التوحيد والأمر والنهي والوعد والوعيد.

١٦- إذا خُصَّ المؤمنون بالتذكير فهم مخصوصون بالتذكير التام النافع، وحيث يعمم فالجميع مشتركون فيه على أساس التبليغ العام الذي قامت به الحجة.

١٧- الاستغناء المذموم يكون من جهة جهل العبد بربه، أو جهله بنفسه، وكلاهما موجبه الهلاك والطغيان.

١٨- جاء ابن أم مكتوم -رضي الله عنه- إلى النبي ﷺ ساعياً سعي إنابة وإقبال وقصد وخشية.

١٩- صاحب الخشية يلتجىء إلى الاعتصام بالعلم الشرعي النافع.

٢٠- اجتمعت لهذا الصحابي أسباب تكميل القوتين: العلميّة، والعمليّة الإراديّة.

٢١- تشاغل النبي ﷺ من جنس التشاغل بتعليم المعارض عن تعليم المقبل، وهو تشاغل يقدح في الكمال لا بالأصل.

٢٢- لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة.

٢٣- ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره.

هذا ما تيسّر جمعه بخصوص هذه الآيات.

والله -تعالى- وحده- الهادي إلى سبيل الرشاد●

الكلم الطيب

تنبيه العبد الأوّاه

على فوائد حديث: «لَتُنْقَضَنَّ عُرى الإسلام عروة عروة؛ أولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة»

● **بقلم: الشيخ سليم بن عيد الهلالي**

● عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ، قال: «**لتنقضنَّ عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة: تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة**».

■ **توثيق الحديث:** أخرجه أحمد (٥ / ٢٥١)، ومن طريقه الحاكم (٤ / ٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٨ / ٩٨ / ٧٤٨٦)، و«مسند الشاميين» (٢ / ٤١١ / ١٦٠٢): ثنا الوليد بن مسلم: حدثني عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله، أن سليمان بن حبيب حدثهم، عن أبي أمامة (وذكره).

وأخرجه ابن حبان (١٥ / ١١١ / ٦٧١٥) من طريق الوليد بن مسلم به.

قال الحاكم: عبد العزيز هذا هو ابن عبيد الله بن حمزة بن صهيب، وإسماعيل هو ابن عبيد الله بن المهاجر، والإسناد كله صحيح، ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي بقوله: عبد العزيز ضعيف.

قلت: هذا وهم منهما -رحمهما الله-، ودونك التفصيل:

الأولى: قوله: عبد العزيز هذا هو ابن عبيد الله بن حمزة بن صهيب، وليس كذلك؛ فإنما هو عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله، ولعل منشأ الوهم التحريفُ في إسناد الحاكم؛ فإنه وقع عنده: «عن»؛ بدل: «بن» فظنهما اثنين(!).

وهذا الوهم يشاركه فيه الذهبي -رحمه الله-؛ فإنه أقره على أنه عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب.

قال شيخنا محدث العصر الألباني -رحمه الله- في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ٣٠١ / ٥٦٩): «وفي سنده تحريف اغترّ به الذهبي، فضعف الحديث من أجله».

وأما جزمي بأنه عبد العزيز بن إسماعيل ابن عبيد الله؛ فللأمور الآتية:

١- التصريح بذلك عند الإمام أحمد، ومن طريقه يرويه الحاكم وكذلك عند ابن حبان.

٢- أن عبد العزيز بن عبيد الله لم يرو عنه سوى إسماعيل بن عياش، والراوي عنه هنا هو الوليد بن مسلم.

٣- أن عبد العزيز بن عبيد الله لم يذكر في شيوخه إسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر؛ كما زعم الحاكم.

٤- أما عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله: فقد روى عنه الوليد بن مسلم، وشيوخه سليمان بن حبيب، وهو كذا هنا.

الثانية: أنه أخطأ في تصحيح حديث عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب، وهذا يلزم توثيق الرجل، والراجح أنه متفق على ضعفه؛ فقد ضعفه ابن معين في «تاريخه» (٢ / ٣٦٦)، وأبو زرعة وأبو حاتم -كما في «الجرح والتعديل» (٥ / ٣٨٧ / ١٨٠٥)-، وأبو داود كما في «سؤالات الأجري» (٥)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣ / ٢١ / ٩٧٨)، ويعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢ / ٤٥٠)، والجوزجاني في «أحوال الرجال» (٣٠٦)، والدارقطني في «السنن» (٤ / ٢٦٨)، وقال في «سؤالات البرقاني» (٢٩٩): «متروك»، والنسائي كما في «تهذيب الكمال» (١٨ / ١٧٢).

وقد أصاب الذهبي -رحمه الله- في تضعيفه.

قلت: وأما عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله: فوثقه ابن حبان في «الثقات» (٧ / ١١٠)، وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥ / ٣٧٧): سألت أبي عنه فقال: «ليس به بأس»؛ فمثله لا ينحط عن درجة الصدوق.

وباقي رجاله ثقات، ودونك البيان:

الوليد بن مسلم: ثقة لكنه يدلس تدليس التسوية، وقد صرح بالتحديث في جميع طبقات السند وهذا شرطه؛ فانتفت شبهة تدليسه.

سليمان بن حَبيب: ثقة من رجال

البخاري.

وبالجملة؛ فالإسناد حسن.

لكن الحديث صحيح، فله شاهد من حديث فيروز الديلمي -مرفوعاً-: «لينقضن الإسلام عروة عروة، كما ينقض الحبل قوّة قوّة».

أخرجه أحمد في «مسنده» (٤ / ٢٣٢): ثنا هيثم بن خارجة: أنا ضمرة، عن يحيى بن أبي عمرو، عن ابن فيروز الديلمي، عن أبيه.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

● **من فقه الحديث:**

١- الإسلام درجات ومراتب ونقض بعضها لا ينقض عقدة الإسلام بل ينقصها؛ وعلى ذلك السلف الصالح أهل الحديث، وهذا عكس ما أشاعت في هذه الأعصار المتأخرة فئة -تنتسب اسماً إلى أهل السنة والجماعة- أن مذهب السلف في تارك أعمال الجوارح أنه كافر كفراً ينقل من الملة.

فقيل لهم: هذه خارجية عصرية!

قالوا: الخوارج يكفرون بالمعاصي، ونحن لا نفعل ذلك، ففرقٌ بيننا وبينهم.

قيل لهم: إن هذا أصل الخوارج الذين بنوا عليه مذهبهم؛ حيث جعلوا أعمال الجوارح من أصل صحّة الإيمان، فإذا انتفت كلها أو بعضها انتفى الإيمان كله؛ لأنهم تصوروا أنّ الإيمان لا يكون صحيحاً إلا إذا كان كاملاً ولا يكون كاملاً إلا إذا كان صحيحاً؛ إذ كيف يستقيم -عقلاً- أن يفرق بين شيء لا يسمى صحيحاً إلا بأن يكمل بتمامه، وبين شيء لا يكمل إلا بصحة ذاته، وأن تكون الصحة لباسه؟!

ولا أريد أن أناقش هذا القول من أصله، وسيكون له موضع آخر -إن شاء الله-، ولكن نكتفي بإيراد كلمات أهل العلم الدّالّة على فساده، وأنه مذهب مغاير لما عليه السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

قال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» (٩ / ٢٣٨-٢٥١): «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه؛ فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً، قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار، وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار

بالحجاز والعراق والشام ومصر -منهم: مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، و أبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي وأبو جعفر الطبري-، ومن سلك سبيلهم؛ فقالوا: الإيمان قول وعمل؛ قول باللسان، وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة، -قالوا:- وكل ما يطاع الله -عزّ وجلّ- في فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»؛ يريد: مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر، إذا صلّوا للقبلة، وانتحلوا دعوة الإسلام من قرابتهم الذين آمنوا بتلك الأحوال، وفي إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم أوضحُ الدلائل على صحة قولنا: أن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك، وليس بكافر كما زعمت الخوارج في تكفيرهم المذنبين.

> **الإيمان مراتب بعضها فوق بعض؛ فليس الناقص فيها كالكامل!!**

والإيمان مراتب بعضها فوق بعض، فليس الناقص فيها كالكامل، قال الله -عز وجل-: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً**﴾؛ أي: إنما المؤمنون حق الإيمان من كانت هذه صِفَتهم، ولذلك قال -سبحانه وتعالى-: ﴿**أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾، ومثل هذه الآية في القرآن كثير، وكذلك قوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**»؛ إنما هو المؤمن المسلم حقاً.

ومن الدلائل على أن الإيمان قول وعمل -كما قالت الجماعة والجمهور- قول الله -عز وجل-: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ لم يختلف المفسرون أنه أراد: صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الصلاة إيماناً، ومثل هذا قوله -سبحانه-: ﴿**ليس**

البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر»، الآية؛ إلى قوله -تعالى-: ﴿**أولئك هم المتقون**﴾، وأما السنة فكثير جداً..

والذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر: أن الإيمان والإسلام سواء[1]، بدليل ما ذكرنا في كتاب الله -عز وجل- قوله: ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت في المسلمين**﴾.

وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعيين والمالكيين، وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر..

ولا يكفرون أحداً بذنب إلا أنهم اختلفوا في تارك الصلاة، وهو مقرٌّ بها، فكفّره منهم من ذكرنا، وأَبَى الجمهور أن يكفروه؛ إلا بالجحد والإنكار الذي هو ضدّ التصديق والإقرار» ا.هـ باختصار.

وقال السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (١ / ٤٥٠): «السلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله.. والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد، والفرق بينهم وبين السلف: **أنهم جعلوا الأعمال شرطاً في صحته، والسلف جعلوها شرطاً في كماله...**».

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية في «الإيمان» (ص٢٨٢) -أن القائلين من الفقهاء بأن الإيمان قول-: «متّفقون مع جميع أهل السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وأن الإيمان بدون العمل المفترض -ومع المحرمات- يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب كما تقوله الجماعة».

وقال ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» (٢ / ٤٦٣): «وقد أجمعوا على أنّه لو صدق بقلبه، وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لِلّه ورسوله مستحق للوعيد».

وقد فصل الشيخ العلامة عبيد الله المباركفوري هذه المسألة في كتابه العجاب «مرعاة المفاتيح» (١ / ٣٦-٣٧) فقال: «وقال المرجئة: هو اعتقاد فقط؛ والإقرار باللسان ليس ركناً فيه ولا شرطاً، فجعلوا

(١) بل بينهما عموم وخصوص.

العمل خارجاً عن حقيقة الإيمان كالحنفية وأنكروا جزئيّته، إلا أن الحنفية اهتموا به وحرّضوا عليه، وجعلوه سبباً سارياً في نماء الإيمان، وأما المرجئة فهدروه، وقالوا: لاحاجة إلى العمل! ومدار النجاة هو التصديق فقط؛ فلا يضر المعصية عندهم مع التصديق.

وقال الكرامية: هو نطق فقط، فالإقرار باللسان يكفي للنجاة عندهم، سواء وجد التصديق أم لا.

وقال السلف من الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أصحاب الحديث: هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان؛ فالإيمان عندهم مركب ذو أجزاء، والأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقصان بحسب الكمية، واحتجوا لذلك بالآيات والأحاديث وقد بسطها البخاري في «جامعه»، والحافظ ابن تيمية في كتاب «الإيمان».

قيل: وهو مذهب المعتزلة والخوارج، إلا أن السلف لم يجعلوا أجزاء الإيمان متساوية الأقدام، فالأعمال عندهم كواجبات الصلاة لا كأركانها، فلا ينعدم الإيمان بانتفاء الأعمال، بل يبقى مع انتفائها ويكون تارك العمل -وكذا صاحب الكبيرة- مؤمناً فاسقاً لا كافراً، بخلاف جزئيه: التصديق والإقرار، فإن فاقد التصديق وحده منافق والمخل بالإقرار وحده كافر، وأما المخل بالعمل -وحده- ففاسق ينجو من الخلود في النار، ويدخل الجنة.

وقال الخوارج والمعتزلة: تارك الأعمال خارج من الإيمان لكون أجزاء الإيمان المركب متساوية الأقدام في انتفاء بعضها -أيّ بعض كان- يستلزم انتفاء الكل، فالأعمال عندهم ركن من أركان الإيمان كأركان الصلاة.

ثم اختلف هؤلاء، فقالت الخوارج: صاحب الكبيرة وكذا تارك الأعمال كافر مخلد في النار، والمعتزلة أثبتوا الواسطة، فقالوا: لا يقال له: مؤمن ولا كافر؛ بل يقال: فاسق مخلد في النار!

وقد ظهر من هذا الاختلاف بين الحنفية وأصحاب الحديث اختلافٌ معنوي حقيقي لا لفظي كما توهم بعض الحنفية، والحق ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة والمحدثون لظاهر النصوص القرآنية والحديثية».

جعل السلف (العمل) شرطاً لكمال الإيمان الواجب؛ فلا يكفر عندهم بترك العمل، ولكن يضره، ويبقى به تحت المشيئة الإلهية؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، ولا يعني هذا أن الإيمان في معتقدهم قول بلا عمل؛ كما يظنه الجاهلون!!

أقول: هذه النقول عن هؤلاء الأئمة الفحول، تبين أن منزلة العمل من الإيمان هو موضع النزاع بين الفرق:

- فقد أخرج المرجئة العمل من حقيقة الإيمان.
- وجعله الخوارج والمعتزلة شرطاً لصحة الإيمان.

ثم اختلفوا في الوصف لا الحكم:

وقال الخوارج: هو كافر بتركه الأعمال خارج من ملّة الإسلام.

- وقالت المعتزلة: هو في منزلة بين المنزلتين؛ لا مؤمن ولا كافر، لكنه فاسق مخلد في النار.
- وجعله السلف الصالح شرطاً لكماله الواجب، فلا يكفر عندهم بترك العمل ولكن يضره، ويبقى به تحت المشيئة الإلهية إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ولا يعني هذا أن الإيمان في معتقدهم قول بلا عمل؛ كما يظنه الجاهلون!!

■ **ولذلك فالقول الصحيح والحق الصريح:**

أن الإيمان قد يصح ولا يكون كاملاً لأنه يقبل التبعيض والتجزئة، وأن قليله -ولو مثقال ذرّة- يخرج الله به مِنَ النار مَنْ دخلها.

وليس هو كما قال الخارجون عن مقالة أهل السنة: أنه لا يقبل التبعيض والتجزئة بل هو شيء واحد، إما أن يحصل كله، أو لا يحصل شيء منه؛ لأن الشيء الذي لا يكمل لا يقال فيه: صحيح، والشيء الذي لم يصح لا يقال: أنه كامل، ولذلك فالصحيح لا يكون إلا بكماله، والكامل لا يكون إلا بصحته!!!

إن هذه المقاله أولها سفسطة، وآخرها قرمطة، وإن أظهر قائلها أنها ممنطقة!!

والله -تعالى- وحده الهادي إلى سواء السبيل●

شروط لا إله إلا الله

● بقلم: عبدالله بن محمد الجونم

لا يخفى على ذوي الألباب السويّة، والنفوس السليمة، والهمم العالية أهمية العقيدة في حياة المسلم، وفهم التوحيد فهماً خالياً من شوائب التحريف، ودرن التعطيل، وآفة التأويل.

فإذا كان الله -سبحانه وتعالى- خاطب سيد العلماء محمداً ﷺ بقوله -عز وجل-: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾؛ فغيره من باب أولى أن يعلم التوحيد، ويهتم به، ليعبد الله على نور وبصيرة، فيحقق غاية العبودية بكمال التوحيد.

ومن الجوانب التوحيدية المهمة -والتي ينبغي أن يهتم بها المسلم- فهم معنى: (لا إله إلا الله)، ومعرفة شروطها لكيلا ينطق بها باللسان ثم يخالف نطقه بعمل الشرك بالجوارح والجنان.

ولعلنا في هذه المقالة الموجزة نتناول شروط (لا إله إلا الله)، آملين من الله التوفيق والسداد وانشراح الصدور لما سنودعه بين السطور.

■ **شروط (لا إله إلا الله):**

تَعْلَمُ -يا مسلم- أن لكل باب مفتاحاً، فدونه لا يفتح، ولا يمكن المرور إلى ما بعد الباب.

> **لا يكفي فقط النطق باللسان؛ بل لا بد من تحقيق معناها على أكمل وجه**

ومفتاح الجنة: (لا إله إلا الله).

ولا شك أن المفتاح له أسنان بها يمكن فتح الباب، وكلما اندرست هذه الأسنان

أو أُصيبَ شيءٌ منها بتلف كلما ازدادت صعوبة فتح الباب بهذا المفتاح العليل، فلا بد -إذن- من صيانة المفتاح من كل سوء يتلفه، وهكذا كلمة التوحيد، فلا يكفي فقط مجرد النطق باللسان؛ بل لا بد من تحقيق معناها على أكمل وجه، وعدم الإتيان بما يناقض وينافي كلمة التوحيد.

فاحرص على حفظ مفتاح الجنة وحمايته من صدأ الشرك، ودَرَن المخالفة والكفر.

فما فائدة قول القائل: (لا إله إلا الله)، وهو يذبح لغير الله، وينذر للقبر، ويقصده بالدعاء والصلاة عنده؟! فمن فعل هذا جهل معنى (لا إله إلا الله).

إن مشركي الزمن الحاضر قد يكونون أجهل من مشركي الزمن الغابر؛ لأن الكفار من العرب ممن امتنع منهم عن النطق بالشهادة علم يقيناً أنه لو نطق بها للزمه أشياء وأشياء؛ منها: الابتعاد عن الشرك بالله بكل أنواعه، لأنهم عرب، والقرآن عربي، وكلمة التوحيد عربية؛ ففهموا معناها فلم ينطق بها من أصر على الكفر وعاند، ومن نطق منهم بها كان موحداً مخلصاً.

وأما مشركو الوقت الحالي فإنهم يقولون: (لا إله إلا الله)؛ ثم يخالفونها بأقوالهم وأفعالهم الشركية؛ فمنهم من يحلف ويقسم بغير الله، ومنهم من يتوسل بغير الله، ومنهم من يتوجه بالدعاء لغير الله.

> **ما فائدة قول القائل: (لا إله إلا الله)، وهو يذبح لغير الله، وينذر للقبر، ويقصده بالدعاء والصلاة عنده؟! فمن فعل هذا جهل معنى لا إله إلا الله**

فإذا علمت هذا، فالمخرج الوحيد من الوقوع في مثل هذه المخالفات هو فهم (لا إله إلا الله)، ومعرفة شروطها، فما هي هذه الشروط؟

قال العلامة حافظ الحكمي -رحمه الله-:

وبشروط سبعة قد قيدت
وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فإن لم ينتفع قائلها
بالنطق إلاّ حيث يستكملها

قوله: «لم ينتفع قائلها»، أي: قائل: (لا إله إلا الله).

وقوله: «بالنطق»، أي: بنطقه بها مجرداً.

وقوله: «إلا حيث يستكملها»، أي: هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها: اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عدّ ألفاظها وحفظها! فكم من عامي ترى فيه التزامها، ثم تراه يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان[1].

وشروطها السبعة جمعها الشيخ الحافظ الحكمي -رحمه الله تعالى- في قوله:

والعلم واليقين والقبول
والانقياد فادرِ ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة
وفقك الله لما أحببه

• إذن؛ الشروط السبعة هي:

١) العلم. ٢) اليقين.
٣) القبول. ٤) الانقياد.
٥) الصدق. ٦) الإخلاص.
٧) المحبة.

وإليك شيء من بيان هذه الشروط من الناظم نفسه -أعني: الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله-:

١- العلم: أي: العلم بمعناها المراد منه نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك.

قال -تعالى-: **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾** [محمد: ١٩].

٢- اليقين: أي: اليقين المنافي للشك؛ بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، فإن الإيمان لا يغني منه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك؟!

قال -تعالى-: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله﴾**، إلى قوله: **﴿أولئك هم الصادقون﴾** [الحجرات: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا -أي: لم يَشكّوا- فأما المرتاب فهو من المنافقين -والعياذ بالله-.

٣- القبول: لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قصّ الله -عز وجل- علينا من أنباء من قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردّها وإياها؛ كما قال -تعالى-: **﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. قال أَوَلَو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون**

(١) «معارج القبول» (٢ / ٤١٨).

فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٥].

فجعل الله -تعالى- علة تعذيبهم وسببه استكبارهم عن قول: (لا إله إلا الله) وتكذيبهم ممن جاء بها.

٤- **الانقياد**: لما دعت إليه المنافي لترك ضدّ ذلك، قال الله -عز وجل-: ﴿**وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له**﴾[الزمر: ٥٤]، وقال -تعالى-: ﴿**ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾ [النساء: ١٢٥] قال -تعالى-: ﴿**ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾ [لقمان: ٢٢].

أي: بـ (لا إله إلا الله)، ومعنى: ﴿يسلم وجهه﴾؛ أي: ينقاد، وهو محسن موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله، ولم يك محسناً؛ فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى.

٥- **الصدق**: فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال الله -عز وجل-: ﴿**الم أحسب الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين**﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

وقال -تعالى- في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**﴾ [البقرة ٨ - ١٠].

وفي «الصحيحين» عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ، قال: «ما من أحد يشهد أن (لا إله إلا الله) وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»[(١)]؛ فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب.

٦- **الإخلاص**: وهو تصفية العلم بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿**ألا لله الدين الخالص**﴾ [الزمر: ٣]، وقال -تعالى-: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء**﴾ [البينة: ٥].

٧- **المحبة**: لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (١٤٧).

لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك، قال الله -عز وجل-: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشدّ حباً لله**﴾ [البقرة: ١٦٥].

فأخبرنا الله -عز وجل-: أن عبادة المؤمنين أشد حباً له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً؛ كما فعل مُدَّعُو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه:

١- تقديم محابه وإن خالف هواه.

٢- بغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه.

٣- موالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه.

٤- اتباع رسول الله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه.

وكل هذه العلامات شروطٌ في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها»[(١)].

فهذه شروط (لا إله إلا الله)، فانظر -يا أخي في الله- أين أنت منها؟! فإذا تدبرتها ثم تفكرت فيما يفعله الناس في بدع القبور والأضرحة علمت أنهم بعيدون عن فهم هذه الكلمة الطيبة، والله المستعان●

(١) «معارج القبول» (٢ / ٤١٨-٤٢٤) بتصرف.

شجرة الإيمان

*** العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -**

إنَّ هذه الشجرة المباركة -شجرة الإيمان- أبرك الأشجار وأنفعها وأدومها.

وأنّ عروقها وأصولها وقواعدها الأيمان وعلومه ومعارفه، وساقها وأفنانها شرائع الإسلام، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة المؤيدة والمقرونة بالإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ.

وأن ثمارها وجناها الدائم المستمر السمت الحسن، والهدى الصالح، والخلق الحسن، واللهج بذكر الله وشكره، والثناء عليه، والنفع لعباد الله بحسب القدرة نفع العلم والنصح، ونفع الجاه والبدن، ونفع المال، وجميع طرق النفع. وحقيقة ذلك كله القيام بحقوق الله، وحقوق خلقه.

وأن هذه الشجرة في قلوب المؤمنين متفاوتة تفاوتاً عظيماً، بحسب ما قام بهم، واتصفوا به من هذه الصفات.

وأن منازلهم في الآخرة تابعة لهذا كله.

وأن الفضل في ذلك كله لله وحده، والمنة كلها له سبحانه.

﴿**بل اللهُ يمُنُّ عليكُم أنْ هَداكُمْ للإيمانِ إن كُنْتُمْ صادِقِين**﴾ [الحجرات: ١٧].

وقال أهل الجنة بعد ما دخلوها، وتبوءوا منازلها -معترفين بفضل ربهم العظيم -وقالوا: ﴿**الحمدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهذا وَمَا كنَّا لنهتدي لولا أنْ هَدَانا اللهُ لقدْ جاءت رُسُلُ ربِّنا بالحقِّ ونُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجنَّةُ أورِثْتُمُوها بِما كنْتُم تعْلمُون**﴾[الأعراف: ٤٣].

فجمع في هذه الآية بين الإخبار باعترافهم وثنائهم على الله بنعمه وفضله: حيث وصلوا إلى هذه المنازل العالية، وبين ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك بمنة الله عليهم وهو: العمل الصلاح، الذي هو الإيمان وأعماله. [«الإيضاح والبيان» (٥٧-٥٨)]

مباحث حديثية

التحذير من الكذب على الله ورسوله

● بقلم: الشيخ د.محمد موسى نصر

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التّسليم، على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطّيّبين الطّاهرين.

أمّا بعد:

فالكذب خلق سيِّئٌ، وخصلة ذميمة، حذَّر الله منها في كتابه، وحذَّر نبيُّه منها ﷺ في سنّته.

وقد جاءت الآيات الكريمة، والأحاديث الصّحيحة، تنهى عن هذا الخلق المشين، الذي هو من صفات المنافقين، والذي يجب أن يترفّع عنه الدّاعية، بل المسلم، لأنّ ديننا قائم على الصّدق، ونبيّنا ﷺ هو الصادق الأمين... أمين الله على وحيه، قال -تعالى-: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا معَ الصادقين**﴾، وقال -تعالى-: ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكَذِبَ هذا حلال وهذا حرام لتَفتَروا على الله الكذبَ إن الذين يَفتَرون على الله الكذبَ لا يُفلحون**﴾.

وقرن -سبحانه وتعالى- القول عليه بغير علم، بالشرك بالله:

قال -تعالى-: ﴿**قُل إنّما حَرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بَطَنَ والإثمَ والبَغيَ بغير الحقّ وأن تُشركوا بالله ما لم يُنزِّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تَعلمون**﴾.

ووصفَ ﷺ المنافقين بالكذب، قال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّثَ كذب، وإذا وَعَد أخلَف، وإذا أُئْتُمِنَ خان**»(١).

فعارٌ على المؤمن أن يكون كذّاباً، وحرام عليه أن يتّصف بهذا الخُلُق الدّنيء، قال ﷺ: «**من كذبَ عليَّ مُتعَمّداً فليَتبوأ مَقعده من النار**»(٢).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم: ٦٠٩٤)، ومسلم في «الصحيح» (٢٦٠٢و٢٦٠٧)

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم: ١٢٩١)، ومسلم في «الصحيح» (رقم: ٣).

الأحاديث المكذوبة لها أخطارها الشنيعة على الفرد والأمة، وعلى الدين نفسه

فإذا عرفت ذلك -أخي المسلم-، تبيّن لك أنّ الكذب من الكبائر التي توعّد الله أهلها أشدّ العذاب، **وقد أجمعت الأُمّة على تحريم الكذب على النّاس، فما هو حال من يكذب على الله وعلى رسوله؟!** إنّهُ -بلا ريبٍ- أشدُّ حرمة في ذلك، وأكثر وعيداً.

ويتجلّى الكذب على الله في التّقوّل عليه من غير علم، وإعطاء الفتوى بغير هدى، فالعالم ناقل عن الله ورسوله، فليقل خيراً وليظهر علماً؛ وإلاّ أصابه قول النبي ﷺ: «**من حدَّث عنّي بحديث يُرى أنّه كذب، فهو أحد الكذّابين**»(١)، وقوله: «**من كذبَ عليَّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار**».

والأحاديث المكذوبة لها أخطارها الشنيعة على الفرد والأُمّة، وعلى الدين نفسه، خصوصاً إذا كانت في باب العقيدة، وسنأتي بمثال على ذلك، وهو ما يروى: «لَو أنّ أحدكم أحسنَ ظنّه بحجر لنفعه»(٢)، فهذا الحديث الموضوع؛ بل الباطل، مما يروّجه أهل الشرك في كل زمان ومكان، الذين يؤذيهم أن يَرَوْا أمّة الإسلام مُوحِّدة ربّها تعبده حقَّ عبادته، فيريدون بأمثال هذا الحديثِ الباطلِ إفسادَ عقيدة المسلمين التي عليها مدار قبول أعمالهم، وعليها يتعلق فلاحهم ونجاحهم في الدُّنيا والآخرة، فالمسلمون يعتقدون أنّه لا ضارَّ ولا نافعَ إلا الله وحده، وأنّهُ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿**قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً**﴾، فتعلُّق القلوب بالحجارة وبأشكالها وأنواعها وأسمائها شرك بالله -سبحانه وتعالى-.

عن عقبة -مرفوعاً-: «**مَن تعلّق تميمة فقد أشرك**»(٣)، وقوله ﷺ -من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ الرّقى والتّمائم والتولة شرك**»(٤)، والتمائم هي أشياء تعلّق على الأولاد يتّقون بها العين.

(١) أخرجه مسلم في مقدّمة «الصحيح» (١ / ٩)، والترمذي في «الجامع» (رقم: ٢٦٦٤).

(٢) لا أصل له، فانظر «الأسرار المرفوعة» (٢٨٨).

(٣) رواه أحمد (٤ / ١٥٦)، والحاكم (٤ / ٢١٩) عن عقبة بن عامر بسندٍ حسن.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (١ / ٣٨١)، وأبو داود في «السنن» (٣٨٨٣)، وابن ماجه في «السنن» (٣٥٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤ / ٤١٧، ٤١٨)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وكذا صححه شيخنا في «الصحيحة» (رقم: ٣٣١).

قلت: ونحوها الخرز الأزرق الذي تضعه النّساء على أطفالهن لاعتقادهن أنها تردّ العين عنهم، وهذا شرك -والعياذ بالله-.

فانظر -رحمك الله- كيف أنّ هذا الحديث الموضوع قرّر عقيدة الشرك، وهدم التّوحيد من أساسه، وكذلك تفعل الأحاديث الموضوعة المكذوبة على النّبيّ ﷺ في عقيدتنا وديننا.

فإن قال قائل: إذا كانت الحجارة لا بركة فيها ولا نفع، فما بَالُنا نقبّل الحجر الأسود ونستلمه؟!

قلنا: الحجر الأَسْوَد من الجنّة، كما أخبر النبيّ ﷺ والله تعبّدنا باستلامه وتقبيله، والنبيّ ﷺ -وهو سيد الموّحدين وإمامهم- قبّله وأمر بتقبيله، ونحن نتأسّى به في ذلك ولا نعتقد في هذا الحجر دفع ضر أو جلب نفع أو بركة أو قدسيّة -كما يعتقد أهل التّمائم في تمائمهم-...

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لمّا قَبَّل الحجر الأسود-: «**والله أنّي لأعلم أنّكَ حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك**»[1]، فهل بعد هذا البيان من شبهة لأهل التمائم وأهل الودع والبدع؟!

■ **وأسباب الوضع والكذب كثيرة منها:**

١- التّعصُّب لمذهب دون الآخر، كحديث: «سراج أُمّتي أبو حنيفة».

٢- التّشيُّع لفكرة أو نِحْلَةٍ، كمذهب الشيعة والرّافضة، ومن موضوعاتهم حديث: «أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابُها»[2].

٣- التقرُّب إلى بعض الحكّام بوضع بعض الأحاديث؛ كزيادة: «أو جَنَاح» على الحديث الصحيح: «لا سبق إلا في خف أو حافر»[3]، وزاد بعضُ الوضّاعين: «أو جَنَاح»؛ لعلمه تعلّق الحاكم -في ذلك الزّمان- بالطُّيور وَشَغَفه بها.

٤- الترغيب والترهيب، وأمثلة ذلك كثيرة جداً.

والحمد لله رب العالمين●

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم:١٥٩٧)، ومسلم في «الصحيح» (رقم: ١٢٧٠).

(٢) يُراجع له «أحاديث القُصَّاص» (١٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) انظر «الموضوعات» (١ / ٤٢) لابن الجوزي، و«السلسلة الضَّعيفة» (١ / ٣٨٩) لشيخنا الألباني.

الكتب تعريفاً ونقداً

الحلقة الرابعة

أمالي نظام الملك

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا تخريج من رأس القلم لأحاديثِ وآثار ما نشر في العدد الماضي من «أمالي نظام المُلْك» (الجزء الثاني)، وآثرتُ -لانفصاله عن أصله- أن أذكر طرف الحديث والأثر، ليظهر نوع ترابط بين التخريج والنص الذي له، وإن كان هذا لا يغني عن الرجوع إلى ما نشر في العدد السابق؛ بحيث يكشف عن الطريق والمخرج هناك، والله الموفق:

[١٣] حديث أبي هريرة: «من أنفق زوجين في سبيل الله...».

● أخرجه البخاري (١٨٩٧ ، ٢٨٤١، ٣٢١٩ ، ٣٦٦٦)، ومسلم (١٨٩٧) في «صحيحيهما»، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٤٩٩ -يحيى، ورقم ٩١٠ -رواية أبي مصعب)، وعبدالرزاق (٢٠٠٥٢)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٠)، في «مصنفيهما»، وابن المبارك في «الزهد» (١٣٢٧)، والنسائي (٤/ ١٦٨) و(٥/ ٩) و(٦/ ٢٤ ، ٤٧)، وفي «فضائل الصحابة» (٧)، والترمذي (٣٦٧٤)، وابن حبان (٣٠٨ ، ٣٤١٨ ، ٣٤١٩ ، ٩٨٦٦ الإحسان)، وأحمد (٢/ ٢٦٨)، والبيهقي (٩/ ١٧١)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٨٣ -١٨٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ١٣٤ رقم ١٦٣٥) من طرق عن

الزهري به.

[١٤] حديث أبي سعيد -رفعه-: «بينما أنا نائم رأيتُ النّاس عُرضوا علي...».

● أخرجه البخاري (٢٣، ٣٦٩١، ٧٠٠٨، ٧٠٠٩)، ومسلم (٢٣٩٠) في «صحيحيهما»، والدارمي (٢١٥٧)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٨٦)، والترمذي (٢٢٨٦)، والنسائي (٨/ ١١٣)، وفي «فضائل الصحابة» (٢٠)، وأبو يعلى في «المسند» (١٢٩٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٨٩١ - الإحسان) من طريق الزهري به.

[١٥] حديث عبدالرحمن بن خَبّاب، وتَصَدُّق عثمان، وقول النبي ﷺ له: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا».

● أخرجه الطيالسي في «المسند» (١١٨٩) ومن طريقه المصنف.

وأخرجه عبد بن حميد في «المسند» (٣١١ - المنتخب)، والترمذي في «جامعه» (٣٧٠٠)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٧٨)، والدولابي في «الكنى» (٢/ ١٧)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٨٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٨٧)، و«الآحاد والمثاني» (رقم ١٤١٩)، وعبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٥٩١١)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢١٤)، وابن الأثير في «أُسد الغابة» (٣/ ٤٤١)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٧/ ٨١) من طريق سكن بن المغيرة به.

قال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث سكن بن المغيرة».

قلت: سكن وثّقه الطيالسي فيما نقل الدولابي، وكذا ابن حبان، وقال ابن معين: صالح، وقال النسائي: ليس به بأس.

وللحديث شاهد عن عبدالرحمن بن سَمُرة، هو به حسن -إن شاء الله تعالى-.

[١٦] حديث جابر بن سمرة: قالوا: يا رسول الله! من يحمل رايتك يوم القيامة؟...

● إسناده ضعيف جداً، فيه ناصح بن عبدالله المُحَلَّمي، تركه الفلاّس وغيره.

أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٥٤)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٥١١) من طريق ناصح به.

[١٧] **حديث علي -رفعه-: «رحم الله أبا بكر، زوّجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة...».**

● إسناده ضعيف جداً.

المختار بن نافع، قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: كان يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك.

أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٧١٤)، وابن أبي عاصم في «السنّة» (١٢٣١)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٢١٠ -٢١١ ترجمه رقم ١٧٩٧)، وابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ٢٥٤)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٠/ ٤٠٢).

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

[١٨] **حديث علي بن أبي طالب: «من أحب هذين وآباهما وأمهما؛ كان معي في درجتي في الجنة».**

● إسناده ضعيف، والمتن منكر، قاله الذهبي في «السير» (٣/ ٢٥٤).

أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٧٣٣)، وعبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (١/ ٧٧)، و«زوائد فضائل الصحابة» (٢/ ٦٩٣ -٦٩٤)، والدولابي في «الذرّية الطاهرة» (ص١٢٠)، والطبراني في «الكبير» (رقم ٢٦٥٤)، و«الصغير» (٢/ ٧٠)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (١/ ١٩١ -١٩٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٨٧ -٢٨٨)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢/ ت٩٥٨-٩٥٩ - نشر دار المأمون)، والذهبي في «الميزان» (٣/ ١١٧) جميعهم من طريق نصر بن علي.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه».

كذا في مطبوعه! وصوابه: «حديث غريب» دون «حسن» كما في «تحفة الأشراف» (٧/ ٣٦٤).

وقال الذهبي في «السير» (١٢/ ١٣٥): هذا حديث منكر جداً.

[١٩] **قول عائشة: «أعطيت عشر خصال لم تعطهن ذات خمار قبلي: ...».**

● إسناده ضعيف، فيه تدليس ابن جريج، وبكر بن سهل فيه ضعف.

ذكره محب الدين الطبري في «السِّمْط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (ص ٨٣-٨٤)، وقال:

وقولها: «خُيِّر بين حانقتي وذاقنتي

-تريد -والله أعلم- التخيير بين الحياة والموت، حين اختار الرفيق الأعلى-.

وقد ذكر -قبل- أحاديث كثيرة، بعضها في «الصحيحين»، تدل على بعض الخصال المذكورة في هذا الأثر، فانظره غير مأمور.

[٢٠] حديث عبد الله بن عويم -مرفوعاً-: «إن الله اختارني واختار لي أصحاباً، فجعل منهم وزراء وأنصاراً...».

● إسناده ضعيف، فيه عبدالرحمن وأبوه سالم بن عبدالله بن عويم، كلاهما مجهول.

أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (رقم ١٩٤٦)، و«السنة» (رقم ١٠٠٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٠ رقم ٣٤٩)، و«الأوسط» (رقم ٤٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٣٢)، والآجري في «الأربعين» (ص٤٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١١)، والخطيب في «التلخيص» (٢/ ٦٣١)، والضياء في «النهي عن سب الأصحاب» (رقم ٥ - بتحقيقي)، واللالكائي في «السنة» (٢٣٤١)، من طريق محمد بن طلحة به.

[٢١] حديث عمر -مرفوعاً-: «سألت ربي -عز وجل- فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي...».

● أخرجه ابن عدي (٣/ ١٠٥٧) عن حمزة الكاتب به.

وأخرجه البيهقي في «المدخل» (١٥١) عن أبي بكر بن الحارث، عن أبي الشيخ عن حمزة، ومن طريق بكر بن سهل عن نعيم بن حمّاد -أيضاً-.

وأخرجه ابن حجر في «موافقة الخُبْر الخَبَر» (١/ ١٤٦ - ١٤٧) من طريق الحسن ابن علي: أخبرنا أبو الحسن بن دؤدؤ، عن حمزة به. وقال عقبة:

«هذا حديث غريب»، وقال: «وزيد العمّي -بفتح العين وتشديد الميم- وابنه أضعف منه».

وقد سئل البزار عن هذا الحديث؛ فقال: «لا يصح هذا الكلام عن النبي ﷺ، وقد رواه عبدالرحيم مرة أخرى؛ فقال: عن أبيه عن ابن عمر».

وقال: «وخالفه سلام الطويل فرواه عن زيد بإسنادٍ آخر ولفظ آخر».

ثم ساقه ابن عديّ بسنده من طريق سلام، عن زيد العَمّي، عن يزيد الرّقاشي، عن أنس -رفعه-، بلفظ: «مثل أصحابي كمثل النجوم يُهتدى بهم؛ فإذا غابت تحيَّروا»، قال: «هكذا أخرجه ابن

أبي عمر في «مسنده»، وفي إسناده ثلاثة ضعفاء في نسق: سلام وزيد ويزيد، وأشدّهم ضعفاً سلام.

وأورده الحافظ ابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٧٠٠-٧٠١) من طريق نُعيم ابن حماد به، وقال: «هذا حديث ضعيف من حديث هذا الوجه، فإن عبدالرحيم بن زيد هذا كذّبه ابن معين، وضعّفه غير واحد من الأئمة» قال: «إلا أن هذا الحديث مشهور في ألسنة الأصوليين وغيرهم من الفقهاء يلهجون به كثيراً، محتجّين به، وليس بحُجة، والله أعلم».

وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (رقم ٧٠٠)، من طريق آخر عن نعيم بن حماد به.

وهو في «الفردوس» (رقم٣٤٠٠).

وعزاه في «الكنز»(١/ ٩١٧) للسجزي في «الإبانة»، وابن عساكر عن عمر.

وحكم عليه شيخنا الألباني في «الضعيفة» (رقم ٦٠) بالوضع، وعزاه لنظام الملك في «الأمالي»، والضياء في «المنتقى» من مسموعاته بمرو (٢/ ١١٦)، وابن عساكر (٧/ ٣١٥/ ٢).

وله شواهد لم تصح، بينت ذلك بتفصيل في تعليقي على «الموافقات» (٤/ ٤٥٢ -٤٥٦)، وأسهبت في نقل أحكام العلماء عليه بالضعف والنكران، والله المستعان.

[٢٢] حديث علي -رفعه-: «يرحم الله خلفائي».

● أخرجه الطبراني في «الأوسط»، والرامَهُرمُزيّ في «المحدّث الفاصل» (ص١٦٣)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٨١)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص٣٠ ، ٣١)، والهروي في «ذم الكلام»، والقاضي عياض في «الإلماع» (ص١٧)، والشجري في «الأمالي» (١/ ١٩)، وعبدالغني المقدسي في كتاب «العلم» (٢/ ٥٠) والضياء في «المنتقى بمسموعاته بمرو» (١/ ٧٤)، ومحمد بن طولون في «الأربعين» (١/ ٥) -كما في «السلسلة الضعيفة» (رقم ٨٥٤)-، من طريق أحمد بن عيسى به.

وإسناده واهٍ بمرَّة، أحمد بن عيسى بن عبدالله الحلواني، قال الدارقطني: «كذاب» كذا في ترجمته في «الميزان» (١/ ١٢٦ - ١٢٧)، وساق له هذا الحديث، وقال: «وهذا باطل».

وانظر: «نصب الراية» (١/ ٣٤٨)، و«مجمع الزوائد» (١/ ١٢٦)، و«الترغيب والترهيب» (١/ ١١٠)، و«إتحاف السادة

المتقين» (١/ ١١٧).

[٢٣] أثر عمر: «إن أنا نمت نهاري ضيّعت الرعية، وإن نمت...».

● إسناده ضعيف، ومنقطع، ليث بن أبي سُليم، صدوق اختلط، ولم يتميز حديثه فتُرِك، كذا في «التقريب» (٥٦٨٥)، وهو لم يدرك عمر -رضي الله عنه-.

وله طريقان آخران منقطعان وضعيفان، انظرهما في «الزهد» لأحمد (٢/ ٣٢)، و«المجالسة» للدينوري (رقم ٣٥٨٦ - بتحقيقي)، «تاريخ دمشق» (ص٢٣٣ - ترجمة عمر).

- والخبر في «التذكرة الحمدونية» (١/ ٤٠٩)، ونسب لعمر بن عبدالعزيز في «نثر الدر» (٢/ ١٨٨)، و«محاضرات الراغب» (٢/ ٤٠٥).

[٢٤] وصية عثمان بن عفان -رضي الله عنه، وفيها آخر الشعر.

● أخرجه أبو طاهر المخلِّص في «فوائده»، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص٤٤٨ -ترجمة عثمان)، قال: نا عبيد الله بن عبدالرحمن السكري: نا زكريا بن يحيى المنقري به●

الإخلاص في طلب العلم

*** الإمام الذهبي - رحمه الله -**

قال الإمام الذهبي: ينبغي للعالم أن يتكلم بنيةٍ وحسنِ قصد، فإن أعجبه كلامه؛ فليصمت، فإن أعجبه الصمت؛ فلينطق، ولا يفتر عن محاسبة نفسه، فإنها تحبُّ الظهور والثناء.

وقال أيضاً: فكم من رجلٍ نطق بالحقِّ وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خفي سار في نفوس الفقهاء، كما أنه داءٌ في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والتُّرب المزخرفة، وهو داء خفي يسرى في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين، فتراهم يلقون العدوَّ ويصدِمُ الجمعان، وفي نفوس المجاهدين مُخبآتٌ، وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة، والعجب ولبس القراقل المذهبة، والخوذ المزخرفة، والعدد المحلاة على نفوس متكبرة، وفرسان متجبرة، وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة، وظلم للرعية، وشرب للمسكر فأني ينصرون؟! وكيف لا يخذلون؟ اللهم: فانصر دينك ووفق عبادك. فمن طلب العلم للعمل كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء، تحامق، واختال وازدرئ بالناس، وأهلكه العُجْبُ، ومقتُهُ الأنفس: **﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾**؛ أي: دسَّسها بالفُجور والمعصية.

وقال -رحمه الله-:

فقد ترى الرجل ورعاً في مأكله وملبسه ومعاملته، وإذا تحدث يدخل عليه الداخل من حديثه فإما أن يتحرى الصدق، فلا يكمل الصدق، وإما أن يصدق، فينمق حديثه؛ ليمدح على الفصاحة، وإما أن يظهر أحسن ما عنده ليعظم، وإما أن يسكت في موضع الكلام، ليُثنى عليه. **ودواءُ ذلك كله الانقطاعُ عن الناس إلا من الجماعة.**

من ديوان الشعر

أرجوزة السلام في مجددي الإسلام

● بقلم: أبي ليلى فهد البلادي

يقـــول راجي الملكِ الجـــوادِ ... وهـذهِ أرْجُوزَةُ الســـــــلامِ

فـهـدٌ -أبولـيلى- هو البـلادي ... ضَمَّنْتُهـــا مُجَدِّدِي الإســـلامِ

لـله حَمْدي دائـمـــــاً وأبـدا ... مِمَّنْ لـهـــمْ دَوْرٌ وجُهْدٌ وأثـرْ

مـصلياً على النبيِّ أحـمـدا ... فِيـمَنْ أتى من بعـدهم ومن غَبَرْ

وبعـد فـالعلمُ له أقـسـامُ ... وكـان للسُّبْكيِّ والسـيـوطيْ

وكلّ قـسمٍ قـادَهُ إمـامُ ... نظمٌ لَطِيفٌ لَيْسَ بالمبـسـوطِ[1]

قـد أَشْبَعَ التـصنيفَ فـيه وابتكرْ ... وفـيـهِ منْ أهل الكلامِ والجـدالْ

فـي فَنِّهِ أَحْلـى مَعَانٍ وَدُرَرْ ... مُجـددونَ بينمـا هذا مُحَالْ

وقـد يفـوتُ السّابقينَ بعضُ مـا ... كـابنِ الخَطِيبِ والغـزاليِّ وليْ

يدركُهُ التـالون ممن قَدْ نَمـا ... رَدٌّ على السُّبْكيِّ في نَفْس الرويْ[2]

---

(١) نظم ابن السبكي، ذكره في «طبقات الشافعية»(١/ ٢٠٢)، وللسيوطي في ذلك رسالة مستقلة ألحق بها قصيدة في المجددين، ورغم حسن نظمها إلا أنه لم يخلُ من نقص واستدراك.

(٢) ابن الخطيب: هو الرازي الملقب بـ (فخر الدين) ت٦٠٦.

والغزالي: أبو حامد، توفي (٥٠٥ هـ).

وقصيدة ابن السبكي داليّة من البحر الكامل، وقد نظمت -ولله الحمد- رداً عليها على بحرها ورويّها.

وإنّما التجديدُ في الدين لمنْ
قد نَاصَرَ التوحيدَ أو أحيى السُّنَنْ
وقد أعُدُّ عالماً مُجددْ
أو حاكماً فالنص لم يُحَدِّدْ
وقد أعُدُّ اثنين أو ثلاثهْ
في حُقبة أو فوق ما ثلاثهْ
ولَمْ أرَ مُخالفاً أنَّ عُمَرْ
أوّلُهم وأنَّه مِمَنْ نَصَرْ[1]
لِدينه بِعَدْلِه وعِلْمِه
ورَدَّ ظُلماً كان في ابن عَمِّهِ
فهو مُجَدِّدٌ بِغَيرِ مِرْيَه
فالعِلمُ والحُكْمُ به سَوِيَّه
كذلك الزهريُّ قيل جَدَّدا
لجمْعِه الحديثَ حين بُدِّدَا[2]
فالشافعيّ من بفضله ظَهَر
عِلمُ الحديث في الحجازِ واشتهر[3]
وقَرّرَ الأصولَ في الرّسالهْ
وقسَّم الفقه بلا مَلالهْ
وقال بالناسخ والمنسوخِ
وناظر الفقيه ذا الرسوخ
محمداً، ومات في الخمسينِ
وعلمه كعلم ذي المئينِ[4]
كذا ابنُ حنبلَ الإمامُ الثاني
فهو بلا ريبٍ ولا نكرانِ
قد رَدَّ للدين مكانه العَليّ
مثلَ أبي بكرٍ كما قال عليّ[5]
بصبره في فتنة القرآنِ
على عظيم الذُّل والهوانِ
وكان جُلُّ مَنْ دَعوا لهم أجاب
بما أرادوا فَرَقاً من العقاب
ففضلهُ لا يعتريه شكٌّ
في مثله الرأسُ فلا يحكُّ
فابن سريج قيل فِقْهاً جَدّدا
وابن خُزيمةَ لمنْ قد وحَّدَا[6]
أما النسائيُّ فللحديثِ
فاحفظ مقالي وافهمنْ حديثي[7]

(١) هو أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز بن مروان الأموي (١٠١ هـ) وأبناء عمه أبناء عبدالملك بن مروان.

(٢) الزهري: هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري القرشي (١٢٤ هـ).

(٣) الشافعي: هو الإمام محمد بن إدريس المطّلبي القرشي ت (٢٠٤ هـ).

(٤) محمد: هو الإمام محمد بن الحسن الشيباني، فقيه العراق في عصره ت (١٨٩ هـ).

(٥) كما قال علي بن المديني: «إن الله حفظ هذا الدين برجلين: أبي بكر أيام الردّة، وأحمد بن حنبل أيام المحنة».

(٦) ابن سريج: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ت (٣٠٣ هـ).
وابن خزيمة: هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، الملقب بإمام الأئمة، له كتاب «التوحيد». (٣١١ هـ).

(٧) النسائي: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي الإمام المحدث صاحب «السنن»، ت (٣٠٣ هـ).

وبَعْدَهم سَهْلٌ هو الصُّعْلوكي
بعِلْمِه سَادَ على الملوكِ[1]
والحاكمُ الحَبْرُ العظيمُ المنزلَه
كذلك الأَزْديُّ لا تستنزلهْ[2]
ثُمّ الإمام البغويُّ المسنِدُ
مُفسِّرٌ محدّثٌ معْتَمَدُ[3]
كذلك التيميّ قوّامُ الأثر
فكم به الدينُ علا وكم ظهر
كذا صلاحُ الدين دَوْرُه عظيمْ
إذ قدْ أزال الرفض بالدين القويم[4]

مُكَسِّرُ الصليب، قاهرُ العِدا
مُحَدِّثُ الملوكِ، ذو دين بَدا
فاقرأ لِـ «سيرة» له تُفيدُنا
(شَدَّادُ) تدْرِ ما سَطَرْتُه هُنَا[5]
فالمقدسيُّ زِدْهُ لا تبالي
مؤلفُ الكمالِ في الرجالِ[6]
وابنُ قُدامةَ الإمامُ المقتفي
أغْناك بـ«المغني» وبـ«الكافي» اكتفِ[7]
ولم أرَ مُجَدّداً لهُ أَثَرْ
مِثْلَ ابن تيميّةَ ممَنْ قدْ غَبَرْ

---

(١) سهل: هو ابن محمد بن سليمان الصعلوكي الشافعي، ت (٤٠٤ هـ).

(٢) الحاكم: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم يعرف بابن البَيِّع، له «المستدرك على الصحيحين»، ت (٤٠٥ هـ).

الأزدي: عبدالغني بن سعيد الأزدي المصري المحدث النسابة، ت (٤٠٩).

(٣) البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ت (٥١٠ هـ)، وقيل: (٥١٦ هـ)، له «شرح السنة»، و«معالم التنزيل»، وغيرهما.

(٤) التيمي: أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، يلقب بـ: قوام السنة، ت (٥٣٥ هـ).

من مؤلفاته: «الحجة في بيان المحجة»، و«الترغيب والترهيب»، وغيرهما.

(٥) عدَّ صلاح الدين الأيوبيّ من ضمن المجددين توسيع لقاعدة المجددين الذين إنما يكونون على رأس القرن، وصلاح الدين توفي (٥٨٩ هـ)؛ وإنما ذكرته لدوره البارز في نصره الدين، مما يسوِّغ إلحاقه بالمجددين وإن لم يكن منهم.

(٦) إشارة إلى كتاب ابن شدّاد في «سيرة صلاح الدين».

(٦) المقدسي: أبو محمد عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الجمّاعيلي، ت (٦٠٠ هـ).

(٧) ابن قدامة: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي، ت (٦٢٣ هـ).

فـــإنّهُ بالـرغـمِ ممَّا قـــدْ لَقِيْ ... وقـــد يكونا جَدَّدا الدينَ فـــلا

مِن جَوْرِ سُلْطانٍ وقـاضٍ قـد بَقِيْ ... يمتنع التـجـديدُ فـيـمنْ قـد عـلا

لـه الـقَبُولُ ولـكُتْبـــــــهِ المِقَهْ ... ولست أدري من أتى مِن بعـــدِه

من بينِ تـوحـيـــدٍ وعلمٍ دَقَّقَهْ ... كـــــلا ولا أدري الـذي كَسَعْدِهِ

حـتى اعـتنى به رجـالُ الغَرْبِ ... لكنْ يقـال بعـدَه جـا الرمليْ

ودرّســـوا لشـــخْصِهِ عن قُرْبِ ... وغـيـــرَه قـــد ذَكَرَ المُحِبِّيْ[٤]

قـــد أذعنوا لِعلمِهِ وفـــضلِهِ ... وبعـــــــــده أظنُّه الـكـرديَّ

وأكـبـــروا لفـقـهـــهِ وعـقلِهِ ... ولست أجـزم فـيـه يا أُخيَّ[٥]

فـاعْجَبْ لَمَنْ حَارَبَهُ وصـدَّ عنْ ... فـقـد فـشـا في الأُمّةِ الفـسـادُ

عُلومِهِ وقـــــال تـأتي بـالـفِتَنْ ... والشـركُ والـضـلالُ والإلحـادُ

كـــــذلـك الجُعْلُ هلاكُهُ بمـنْ ... حـتى أُزيلَ الـشركُ بالتـوحـيـدِ

قرَّبَ مِنه الوَرْدَ أو أقْصى النَّتَنْ[١] ... على يد المجـدِّد المجـيـــدِ

وبعـــده قـيـل أتى البُلقـيني ... محـمـدُ التـمـيـميُّ من نجْدٍ ظَهَرْ

وذاك ظَنٌّ لـيس بـالـيـــقين[٢] ... به أُقـيمَ الدينُ والشـركُ انقَهَرْ[٦]

وإنمـــا أرى أنـــا الـــعِراقـــي ... لـــلـــه مَنْ سَانَدَهُ وعَضَّدَهْ

فـدروره في العلم بعـدُ باقي[٣] ... بِسَيْفـــــهِ ومـــــالِه وأيَّدَهْ

---

(١) الجُعْل -بضم فسكون-: دُوَيْبة حقيرة كالخنفساء تعيش في مراح البقر، ومواضع الروث، وتموت برائحة الورد، وتعيش بريح النتن!

(٢) البلقيني: سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان البلقيني المصري الشافعي الفقيه، ت (٨٠٥ هـ).

(٣) العراقي: أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي البصري المحدّث، ت (٨٠٦ هـ).

(٤) الرملي: محمد بن أحمد بن حمزة، فقيه مصر في عصره، كان يلقّب بـ: الشافعي الصغير، ت (١٠٠٤ هـ). انظر «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٤٢)، «الأعلام» (٦/ ٧).

(٥) الكردي: هو إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني، نزيل المدينة، ت (١١٠١ هـ)، انظر «الأعلام» (١/ ٣٥)، وانظر «التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة» للسيوطي (ص١٦-١٧) التعليق.

(٦) هو الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي الحنبلي النجدي، رائد النهضة السلفية المعاصرة، ت (١٢٠٦ هـ).

وهكذا الدينُ مَعَ السلطانِ
يَبْقى قوياً ثابت الأركانِ
صِدِّيقُ ذاك الملكُ العلاّمة
مُجَدِّدٌ قُلْها بلا مَلاَمَه[1]
مؤلفُ التفسير والروض الندي
وخالص الدين وعلمِ أبجدي
وعَصْرُنا قَدْ أظْهَرَ الدينَ بهِ
أئمةٌ كمْ بينهمْ منْ شَبَهِ
همُ "ابن باز" دون ما مدافعِ
"فناصرٌ" "مُحمّدٌ" "فالوادعي"[2]

أما الغُماريُّ قد ادّعاها
وفيه بُعدٌ عند مَنْ وَعاها[3]
لأنّ علمَه بعيدٌ لا تُرى
آثارُه بارزةً بين الوَرَى
هذا وتمّ النظْمُ دونَ ما تَعَبْ
في ليلةِ السبتِ لتسع من رَجَبْ
من عام عشرٍ وثلاثٍ تُجْمَعْ
من بعدِ ألفٍ ومئين أربعْ
وأحمدُ الله على هذا التمامْ
مُصلياً على النبيِّ والسلام

●●●●●

(١) صِدّيق: أبو الطيب صديق حسن خان القِنَّوجي، ت (١٣٠٧ هـ)، له «الروضة الندية» و«الدين الخالص»، و«أبجد العلوم» وهي المشار إليها في الذي يلي هذا، بنوع من التصرف تمشياً مع القافية، انظر «الأعلام» (٦/ ١٦٧).

(٢) ابن باز: هو سماحة الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-.

ناصر: هو محدّث الشام فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-

مجمد: هو علاّمة القصيم الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله-.

الوادعي: هو فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مجدد القطر اليماني، ومحيي العلم والسنة فيه، بعد موات -حفظه الله-.

(٣) الغماري: هو الشيخ عبدالله بن الصديق الغماري المغربي الحسني، وهو بالرغم من سعة اطّلاعه ومشاركته في كثير من العلوم شيعيٌّ محترقٌ، ومتصوف غالٍ، وقد ترجم لنفسه ترجمة مستفيضة في كتاب أسماه: «سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصديق» زعم فيه أنه مجدد العصر!؟

السياسة الشرعية

نيل السؤدد بالعلم

● بقلم: الشيخ عبدالمالك الجزائري

إن تبيان أصل العمل الذي ينبغي أن تُكرّس له الجهود أساسٌ مهمٌّ من أُسُسِ الدعوة إلى اللهِ -تعالى-؛ فإن قوماً رأوا النشاط الرهيب الذي تجتهد فيه قوى الكفر والضلال، فظنوا أن سيادتهم ترجع إليه بمجرد مقابلة نشاطهم بنشاط أقوى منه، فوَجَّهوا كل ما يملكون من وسائل لمجاراتهم، وأهملوا العلم الشرعي إهمالاً فاحشاً!

والحقيقة أنهم مهما أحكَموا التنظيم وأحسنوا التدبير وكثّفوا النشاط وحفظوا من مكائد العدوّ، فلن يُكتَب لهم سؤدد ولا رِفعة حتى يُؤَسسوا عملهم على العلم، ويعرفوا له ولأهله قدره؛ قال الله -تعالى-: ﴿**يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أُوتُوا العلم درجات**﴾، وقال: ﴿**نرفع درجات من نشاء**﴾، قال مالك -رحمه الله-: «العلم»[1].

> **لن يكتب لأحد سؤدد ولا رفعة؛ حتى يؤسس عمله على العلم، ويعرف له ولأهله قدره**

وهذه الرفعة تكون في الدنيا قبل الآخرة؛ كما قال الله -تعالى- عن اصطفائه طالوت لسيادة الملأ من بني إسرائيل: ﴿**وقال لهم نبيّهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده**

(١) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٢٧٢)، وقد أسنده ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٤) من رواية مالك عن زيد بن أسلم به.

بسطة في العلم والجسم والله يُؤتي مُلكه من يشاء والله واسع عليم﴾.

وفي «صحيح مسلم» عن عامر بن واثلة، أن نافع بن عبدالحارث لقي عمر بعُسفان، -وكان عمر يستعمله على مكة[1]- فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى[2] من موالينا، قال: فاستخلفت عليه مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله -عز وجل-، وإنه عالم بالفرائض[3]، قال عمر: ألا إن نبيّكم ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين».

ولذلك أخبر الله -عز وجل- أنه رفع الربانيين من بني إسرائيل حتى جعلهم حُكّاماً عليهم ينفّذون فيه أمر الله؛ فقال: ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هُدى ونور يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شُهداء**﴾.

وهؤلاء الربانيون -الممكّن لهم- جاء وصفهم بالعلم والتعليم، قال الله -تعالى-: ﴿**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقولَ للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾.

وفي كتاب الله -عز وجل- آيتان تشابهتا في اللفظ، يقول الله في الأولى عن إبراهيم ﷺ: ﴿**وتلك حُجّتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم**﴾، وفي الثانية يقول عن يوسف ﷺ: ﴿**نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم**﴾، وفي هذا سرٌّ بديعٌ من أسرار الكتاب العزيز، ذكره ابن تيمية في كلام نفيس جداً حيث يقول:

«ذكر الله أنه يرفع درجات من يشاء في قصة مناظرة إبراهيم، وفي قصة يوسف، ولهذا قال السلف: بالعلم؛ فإن سياق الآيات يدل عليه، فقصة إبراهيم في العلم بالحجة والمناظرة لدفع ضرر الخصم عن الدين، وقصة يوسف في العلم بالسياسة والتدبير لتحصل منفعة المطلوب، فالأوّل: علم بما يدفع المضار في الدين، والثاني: علم بما يجلب المنافع.

أو يقال: الأول: هو العلم بما يدفع

(١) أي: جعله والياً عليها. (٢) أي: عبد مملوك. (٣) أي: عالم بالمواريث.

المضرة عن الدين ويجلب منفعته، والثاني: علم بما يدفع المضرة عن الدنيا ويجلب منفعتها.

أو يقال: قصة إبراهيم في علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها، وقصة يوسف في علم الأفعال عند الحاجة إليها، فالحاجة جلب المنفعة ودفع المضرة قد تكون إلى القول، وقد تكون (إلى الفعل).[1]

ولهذا كان المقصّرون عن علم الحجج والدلالات وعلم السياسة والأمارات مقهورين مع هذين الصنفين، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدوّ يفسد الدين بالجدل أو الدنيا بالظلم، وتارة بالاحتياج إليهم إذا هجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك، وتارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شر بعض في الدين والدنيا، وتارة يعيشون في ظلهم في مكان ليس فيه مبتدعٌ يستطيل عليهم ولا والٍ يظلمهم،

> **من يتصور قيام دولة إسلامية بمجرد عاطفة إسلامية، وفكر مجرد، ونتف من العلم... فهؤلاء طالبوا سراب**

وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدامغة لأهل البدع، والسياسة الدافعة للظلم...»[2]

فدار أمر الرئاسة الدينية والدنيوية على العلم؛ لأنه أصل لهما، ولذلك قال ابن تيمية -أيضاً-: وذلك أن الله يقول في كتابه: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب**﴾، فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنه أنزل الحديد كما ذكره.

فقوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر ﴿**وكفى بربك هادياً ونصيراً**﴾، والكتاب هو الأصل، ولهذا أولَ ما بعث الله رسوله أنزل عليه الكتاب، ومكث بمكة لم يأمره بالسيف حتى هاجر وصار له أعوان على الجهاد.[3]

---

(١) بياض بالأصل، ولعلّ الصواب ما أثبتُّ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٩٣ - ٤٩٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٤).

وأحبّ أن أنبّه القارىء هنا إلى أنني وجدت من ابتُلي بفكر ثوري يَبتر كلام ابن تيمية هذا عند آية الفرقان؛ لأن ما بعدها يُحَطِّم له المراد من استغلال كلام الشيخ! فتنبّه!

إذن فالذين يتصورون قيام دولة الإسلام بمجرد عاطفة إسلامية، وفكر مجرّد عن حجة الشرع يسمّونه فكراً إسلامياً! ونتفٍ من العلم يسمونها (ثقافة إسلامية!)، وأن التعليم مرحلة قادمة بعدها، فهؤلاء طالبو سراب؛ لأنهم يتخيلونها بلا قوة ولا أسباب!

وأولى القوّتين قوة الدين الذي عليه وعد الله المؤمنين بالنصر؛ فقال: ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾؛ ولهذا قال ابن القيم: ولما كان جهادُ أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[1]، كان جهاد النفس مقدّماً على جهاد العدوّ في الخارج وأصلاً له؛ فإنه من لم يجاهد نفسه -أولاً- لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيَت عنه ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يُمْكِنُهُ جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوّه الذي بين جنبيه قاهر له، متسلط عليه، لم يجاهده ولم يحاربه في الله؟!

بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج.

فهذانِ عَدُوَّانِ قد امتُحن العبد بجهادهما، وبينهما عدوّ ثالث، لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو واقفٌ بينهما يُثبط العبد عن جهادهما ويُخذله ويُرجِف به، ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق وترك الحظوظ وفوْت اللذات والمشتبهات، ولا يمكنه أن يجاهد ذينك العدُوَّين إلا بجهاده، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما، وهو الشيطان، قال -تعالى-: ﴿**إن الشيطان لكن عدو فاتخذوه عدواً**﴾، والأمر باتخاذه عدواً تنبيهٌ على استفراغ الوُسع في محاربته ومجاهدته، كأنه عدوٌّ لا يفْتُر ولا يقصّر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس[2].

وهذا الكلام في غاية الجودة والوضوح، وهو تصحيح لمن يرمون غيرهم بالحجارة وبيوتهم من زجاج! وفي الوقت نفسه يُعظّمون الأسباب المادية حتى يروا أن عدوّهم تمكّن لقوّته! والحق أنه لا يدخل عليهم العدوّ بيوتهم إلا إذا وَهَى بُنيانُها؛

(١) رواه أحمد (٣/ ٢١) وغيره، وهو صحيح.

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٦).

أي: لا ينهزم المسلمون لقوّة عدوّهم ولكن لضعف إيمانهم، حتى ولو عَرِيَت أيديهم من الأسباب -بعد بذل الوسع- كفاه الله ما نابهم، قال ابن تيمية -رحمه الله-: ومن سنة الله أن من لم يُمكن المؤمنون أن يعيذوه[1] من الذين يؤذون الله ورسوله؛ فإن الله -سبحانه- ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه -كما قال -سبحانه-: ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين**﴾[2].

وقال ابن القيم: تالله! ما عدا عليك العدوّ إلا بعد أن تولّى عنك الوليُّ، فلا تظنّ أن الشيطان غَلَب ولكن الحافظ أعرَض[3].

وقد عرفت أنك تحرَم ولاء ربك إذا تركت المأمور وركبت المحظور، كما أنك منصور بحفظك الله في أمره ونهيه، فعاد الأصل إلى العلم؛ لأنه لا يُعرَف الأمر والنهي إلا به.

● **لطيفة:**

روى البخاري ومسلم عن الزبير بن عدي قال: دخلنا على أنس بن مالك، قال: فشكونا إليه ما نَلقى من الحَجّاج، فقال: «ما مِن عامٍ إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربّكم»، سمعت هذا من نبيّكم.

قال ابن حجر: «وقد استُشكل هذا الإطلاق! مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبدالعزيز، وهو بعد زمن الحجّاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن العزيز...

وأجاب بعضهم: أن المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر بن عبدالعزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده لقوله

---

(١) تصحّف في المطبوع إلى: (أن يعذبوه)، وهو غير مستقيم، وما أثبت أعلاه هو الموافق للأُصول المخطوطة؛ كما في المطبوع حديثاً (٢/ ٣٥٧).

(٢) «الصارم المسلول» (ص ١٦٤).

(٣) «الفوائد» (ص٧٩).

ﷺ: «**خير القرون قرني...**» كما في «الصحيحين»[1].

ثم قال: ثم وجدت عن عبدالله بن مسعود التصريح بالمراد، وهو أولى بالاتباع، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب، قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول: لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه، ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقلّ علماً من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون.

ومن طريق الشعبي، عن مسروق، عنه، قال: لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر مما كان قبله، أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاء، ويجيء قوم يُفتون برأيهم[2].

قلت: رفعُ الإشكال بالأثر هو قرة عيون أهل الأثر، وبخاصّةٍ وهو جارٍ على الأصول؛ لأن غالب الخلقِ لرحم المال والسلطان وَصول، ألم تسمع قولُ الله -تعالى- يخبر عن أهل الشمال حسرتهم قائلين: ﴿**ما أغنى عَني ماليه. هلك عني سُلطانيه**﴾.

ولو تأمّلت فتنة الحركات الإسلامية -فضلاً عن غيرها- لوجدتها مجموعة في هاتين النعرتين: تصوُّر أن خيريّة أمة على أخرى تابعة لخيريّة حكّامها، أو وفرة اقتصادها؛ ألا ترى أن أكثرهم لا يرُدّون من عرش الملك يَدَ لامِس! ولو كانت طماعة من ديمقراطية الوساوس! وآخرين يرون أن عودة عز المسلمين مرهونة بالتفوق الحضاري، ولذلك لا يبْرحون عليه عاكفين!

وهذا يبيّن سر عناية ابن مسعود بمعالجتهما دون غيرهما، وتالله إنه لفقه النفس الذي فتح الله به عليه، فلتعرف -أخا الإسلام- للسلف فضلهم●

---

(١) لفظ «الصحيحين»: «خير الناس قرني...»، وقد أشار الشيخ الألباني -رحمه الله- في تعليقه على «التنكيل» للمعلمي(٢/ ٢٢٣) إلى أنه لا أصل للفظ الذي ساقه الحافظ هنا.

(٢) «الفتح» (١٣/ ٢١)، والأثر صحيح؛ رواه الفسوي؛ كما في آخر «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٩٣) -له-، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٣٦) وغيرهما.

تزكية النفوس

الحلقة الأولى

التوضيح والبيان لمعاني الإحسان

● بقلم: أبي عبدالرحمن محمد المهر

لما كان موضوع الإحسان موضوعاً عظيم النفع كبير الفائدة؛ فقد انشرح صدري لجمع شتات هذا الموضوع العظيم من جميع جوانبه؛ طلباً لمرضاة ربي -عز وجلّ-، ونصحاً لإخواني المسلمين؛ وامتثالاً لقوله -عليه الصلاة والسلام-: **«الدين النصيحة»**، قلنا: لمن؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[1].

أولاً: معنى الإحسان لغة:

جاءَ في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٣٨٧) -في حديث الإيمان قال-: فما الإحسان؟ قال: **«أن تعبُدَ الله كأنّك تراهُ فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[2].

أراد بالإحسان: الإخلاص، وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معاً.[3]

وقيل: أراد بالإحسان: الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإن من راقب الله (حسن عمله).

وقال في «المعجم الوسيط» (١/ ١٧٤): «أحسنَ: فعل ما هو حسن، وفي التنزيل: **﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾**، والشيء أجاد صنعه، وأتقنهُ، وفي التنزيل: **﴿وصوَّركم فأحسن صوركم﴾**.

والحسنةُ ضد السيِّئة من قولٍ أو فعلٍ، وفي التنزيل: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾**، والأحسن: الأفضل، وفي التنزيل: **﴿الذين يستمعون القول فيتبعون**

(١) رواه مسلم (٢ / ٣٦ - ٣٧).

(٢) رواه مسلم (١/ ١٥٧ - ١٥٨).

(٣) على معنى أن الإخلاص ههنا هو توحيد الله -تعالى- رباً ومعبوداً وبأسمائه وصفاته؛ فتأمَّلْ.

أحسنه».

وقد ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- والقرطبي أقوالاً كثيرة في تعريف الإحسان لغة منها:

١- الإخلاص. ٢- الفرائض.
٣-اجتناب المنهيات. ٤-ترك الظلم.
٥-النافلة. ٦- الخشوع.
٧- التفضل.
٨- مقابلة الخير بأكثر منه، ومقابلة الشرّ بالترك، أو بأقلّ منه.
٩- المشاهدة. ١٠- المراقبة.
١١- العفو.(١)

وأما الإحسان شرعاً: فكما فسره النبي ﷺ حيث قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك».

ثانياً: ذكر أدلّة الإحسان من الكتاب والسنة:

لقد ورد الأمر بالإحسان والحث عليه وبيان فضله في آيات وأحاديث كثيرة فمن ذلك:

● قال -سبحانه-: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[النحل: ٩٠].

● وقال -تعالى-: ﴿وأحسنوا إنّ الله يحبُّ المحسنين﴾[البقرة: ٩٥].

● وقال -تعالى-: ﴿وقضى ربُك ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحساناً﴾[الإسراء: ٢٣].

● وقال -تعالى-: ﴿هل جزاءُ الإحسان إلاّ الإحسان﴾[الرحمن: ٦٠].

■ **وأمّا أحاديث النبي ﷺ فمنها:**

● عن سمرة، عن النبي ﷺ، قال: «إنّ الله محسن فأحسنوا».

«صحيح الجامع» رقم (١٨٢٣).

● عن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ، قال: «إنّ الله مُحْسِنٌ يُحبُّ المحسنين . . .».

«صحيح الجامع» (١/ ٣٧٤).

● وعن عائشة، قالت: قال النبي ﷺ: «من ابتلي من هذه البنات بشيءٍ فأحسن إليهنّ كُنَّ له ستراً من النّار».

مسلم (١٦ / ١٧٩).

● وفي حديث ابن عباس -في كسوف الشمس-، فقال النبي ﷺ: «. . . ورأيت

(١) «الفتح» (١٠ / ٤٨٠)، والقرطبي في «جامعه» (١٠ / ١٥٠).

النّار فلم أر كاليوم منظراً، ورأيت أكثر أهلها النساء»، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بكُفرِهِنّ»، قيل: أيكْفُرن الله؟ قال: «بكفر العشير وكُفر الإحسان، لو أحسنْت إلى إحْداهنَّ الدهر، ثُمَّ رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط».

مسلم (٦ / ٢١٢١-٢١٣).

ثالثاً: حُكْمُه:

إنّ الإحسان لفظةٌ جامِعةٌ لمعان كثيرة، ولذلك فإنّ حكم الإحسان يتبع ما أُريد بهذه اللفظة من معنىً -إيجاباً أو ندباً-؛ فإن كانت لفظة الإحسان يقصد بها: الإخلاص، وأداء الفرائض، واجتناب المنهيات، وترك الظلم: فلا شكَّ أنَّ الإحسان يكون واجباً، وإنْ كان يقصد من لفظة الإحسان: العفو والتفضل والنافله ومقابلة الخير بأكثر منه والشرّ بالترك أو أقلّ منه؛ فالإحسان يكون مستحبّاً.

● قال الحافظ في «الفتح» -نقلاً عن ابن التين-: «والعدل واجب، والإحسان مندوب إليه».

● وقال ابن كثير -رحمه اللهُ- في قوله -تعالى-: ﴿إنّ الله يأمرُ بالعدل والإحسان﴾.

يخبر -تعالى- أنَّهُ يأمر عباده بالعدل -وهو: القسط والموازنة- ويندبُ إلى الإحسان.

● وقال ابن تيمية -رحمه الله-: ..فقد تبين أنّ ما فعلهُ النبيُّ ﷺ من طلب الدعاءِ من غيره، هو من باب الإحسان إلى النّاس الذي هو واجبٌ أو مستحب.

رابعاً: فضل الإحسان:

وللإحسان فضلٌ عظيم فمن ذلك:

١- الجزاءُ من جنس العمل: فمن أحسن عبادة ربه -عز وجل- فعبده -وحده-، وأخلص دينهُ للهِ -وحده-، وكذلك أحسن إلى عباد الله، وإلى بعض مخلوقاته -حسب قدرته وطاقته-؛ فاللهُ -جلّ وعلا- لا يضيع أجر المحسنين.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: أي: لا لمن أحسن العملَ في الدنيا إلاّ الإحسان إليه في الآخره.

٢- دُخولُ الجنَّةِ.

٣- النظرُ إلى وَجْهِ الله -عزوجل-.

٤- حُفظ وجوههم من القتر والذّلة.

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿**للذين أحْسنوا الحُسْنى وزيادة ولا يرْهقُ وُجُوهَهُم قَتَرٌ ولا ذِلّةٌ أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالِدُون**﴾ [يونس: ٢٦].

قال الحافظُ ابن كثير في تفسير هذه الآية: يخبرُ -تعالى- أنّ لمن أحْسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصّالح: الحسنى في الدار الآخرة؛ كقوله -تعالى-: ﴿**هلْ جزاءُ الإحْسان إلاّ الإحْسان**﴾. وقوله ﴿**وزيادة**﴾: هي تضْعيفُ ثواب الأعمال بالحسنة عشْرُ أمثالِها إلى سَبعمائَة ضعف، وزيادة على ذلك أيضاً، ويشْملُ ما يُعْطيهم اللهُ في الجنات من القصور والجور والرِّضا عَنْهُم، وما أخْفاهُ لهُم مِنْ قُرة أعيُن.

وأفضل ذلك وأعلاه: النظرُ إلى وجهِ اللهِ الكريم فإنّهُ زيادةٌ أعظمُ من جميع ما أُعطوه لا يسْتحقُّونها بعملِهِم بل بِفضلِهِ ورحمته.

خامساً: الأجرُ العظيمُ الذي يدّخرُهُ الله -عزوجل- للمُحْسِنين يوم الدين:

قال -سبحانه-: ﴿**الذين استجابُوا لله والرسول مِنْ بعْد ما أصابَهُم القرحُ للذين أحْسنوا منِهم واتقوا أجرٌ عظيم**﴾ [آل عمران: ١٧٢].

سادساً: نصْرُ اللهِ وتأييدُه وحفْظُهُ للمُحْسِنين:

قال -سبحانهُ وتعالى-: ﴿**إنَّ اللهَ معَ الذين آتقوْا والذين هُم مُحْسنونَ**﴾ [النحل: ١٢٨].

قال الحافظُ ابنُ كثير -رحمَهُ اللهُ- في هذه الآية: ومَعْنى: ﴿**الذين اتقوا**﴾؛ أي: تركوا المُحرَّمات ﴿**والذين هُم مُحْسِنونُ**﴾؛ أي: فعَلُوا الطاعات فهؤلاء يحَفَظُهُم الله ويكَلؤهُمُ وينصُرُهم ويؤيدُهُم ويَظْفرُهُم على أعدائِهِم ومخالِفِهم.

قلتُ: فالمعيةُ المذكورةُ في قوله -تعالى-: ﴿**إنّ الله مع الذين آتقوا**﴾؛ هي المعيةُ الخاصةُ التي تكونُ لِرسُله وأنبيائه وعباده المؤمنين؛ فإنّ معيةَ الله لخلقهِ تكونُ عامَّةً للناس أجمعين، وخاصَّة لعباد الله الصالحين؛ كما جاء في كتاب «الأسئلة والأجوبة الأُصولية على العقيدة الواسطة» (٢٠٤).

يتبع في العدد القادم●

من رحاب التاريخ

أسطورة: وامعتصماه...!

● بقلم: الشيخ سعد الحصين

التاريخ المُدوّنُ -وحده- لا يصلح مرجعاً في أمور الشريعة؛ لأن التاريخ مبنّي على ظن كاتبه وعاطفته، والشريعة مبنيّة على يقين الوحي في الكتاب والسنة وفقه الأئمة الأوّلين في نصوصه، ولكن النفس البشرية -﴿إلا ما رحم ربي﴾- تميل إلى الباطل، ويثقل عليها الحق.

وقد استجاب أكثر خطباء ووعاظ القصص والفكر والحركيّة -في العقود الثلاثة الأخيرة- لدواعي الهوى والعاطفة من النفس، ودوافع النفث والتّسويل من الشيطان؛ فحوّلوا أكثر دروس العلم الشرعي وحلق الذّكر وخُطب الجمعة إلى أساطير من كتب التاريخ يحسبها الظمآن ماء، حتى إذا جاءها وجدها ألواناً من السّراب تبعده عن الماء، وتصدّه عن الصراط المستقيم إليه.

ومن هذه الأساطير أسطورةٌ ألهبت حماس الشباب وحناجرهم وعواطفهم، وأضاعت شرع الله لخطبة الجمعة التى فرضها الله مرة في الأسبوع لتعليم المسلمين أحكام الإسلام، وتذكيرهم بأيام الله وآلائه، وإعدادهم للقائه وحسابه وجزائه.

● ومجمل الأسطورة: أن عِلْجاً من الروم أهان امرأة مسلمة، فصرخت: وامعتصماه! فحرّكت صرختها غيرة المعتصم وغضبه، فأوطأ جيش المسلمين أرض الروم أخذاً بثأر المرأة التي استنجدت به.

وهدف الأسطورة تقديم مَثَل صالح قدوة لقادة المسلمين لتعود للإسلام عزّته.

قد تكون واحدةٌ من الروايات -التي يتفنّن وعّاظ وخطباء الفكر والقصص في نحتها والتغني بها- صحيحةً، ولكن ذلك

لا يجعل المعتصم -نفسَه -تجاوز الله عنّا وعنه- قدوة صالحة للراعي المسلم ولا للرّعية المسلمة للأسباب التالية:

١- لم يُذْكر المعتصم -تجاوز الله عنا وعنه- بالعلم الشرعي، بل قالت عنه كتب الأعلام أنّه كره العلم في صغره، ومات شبه أمّيّ!

انظر «سير أعلام النّبلاء» للذهبي، و«الأعلام» للزِّرِكْلي.

٢- غزو المعتصم بلاد الرّوم وفتح عمورية -كما يذكر التاريخ- ليس من القتال في سبيل الله إذا صدق كتّاب التاريخ في الرّواية، فجيش المسلمين وأنفسهم وأموالهم لا تعرّض للأخطار والأهوال غضباً ولا من أجل الحمية ولا لإظهار الشجاعة، وإنما يكون القتال لفرض واحد: أن تكون كلمة الله هي العليا، قال الله -تعالى-: **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله﴾**.

وقيل لرسول الله ﷺ: الرّجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية -وفي رواية: ويقاتل غضباً-، فَمَنْ في سبيل الله؟ فقال النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه.

العلماء والمحققون يقفون من أمثال يزيد والمعتصم موقفاً وسطاً... فهم لا يحبونهم، ولا يسبونهم

٣- لو كان مجرد الغزو والفتح مثالاً يحتذى لكان يزيد -تجاوز الله عنا وعنه- ابن معاوية -رضي الله عنه- أولى منه باتخاذه قدوة؛ فهو من كبار الطبقة الأولى من التابعين، وثاني ولاة المسلمين بعد عصر الخلفاء الراشدين، عهد إليه بالولاية والده معاوية ابن أبي سفيان -رضي الله عنهما- أحد كبار الصحابة ورواة الحديث، استكتبه رسول الله ﷺ، واستعمله في القيادة والولاية أبو بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم أجمعين-، وفتح الله في عهد يزيد على المسلمين المغرب الأقصى وبخارى وخوارزم وهو أول من غزا القسطنطينية، وكان أمير جيش المسلمين في هذا الغزو وكان من بينهم بعض الصحابة مثل أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه وعنهم أجمعين-، وقد صحّ الحديث عن ثناء النّبي ﷺ على أول جيش يغزوها وعلى أميره. ولكن العلماء المحققين يقفون

من أ مثال يزيد والمعتصم موقفاً وسطاً، فهم لا يحبّونهم ولا يسبّونهم -تجاوز الله عمّن مات لا يشرك بالله شيئاً-.

٤- المعتصم -تجاوز الله عنّا وعنه- أحدث من الفتنة في الدّين شراً مما نُسب إلى يزيد من القتل في المدينة النّبويّة، قال الله -تعالى-: ﴿**والفتنة أشدّ من القتل**﴾، وكذلك ما افتراه عليه بعض فرق الضّلال من الأمر بقتل الحسين -رضي الله عنه-؛ فقد امْتحن المعتصم علماء الإسلام وبخاصة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- بفتنة خلْق القرآن التي بدأت في عهد أخيه المأمون، واستمرت في عهد ابنه الواثق، حتى جاء ابنه المتوكّل فأزالها، وانتصر للسنة ولإمام السنّة وأخرجه من سجن الثلاثة -تجاوز الله عنّا وعنهم-، ورفعه إلى المقام الذي يليق، في صدر مجلس المُلك والحكمة -جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خير جزائه-.

٥- إذا سلَّمنا بما أورده المؤرِّخون عن هذا كله؛ فكيف يُقِرُّ من وهبه الله نعمة الإسلام والعقل أن انتصار وليّ أمر المسلمين لرواية ظنيّة عن امرأة مجهولة الحال أرجح في ميزان العدل والإيمان من انتصاره للسنّة ومنهاج السنّة وأئمة السنّة؟!

لقد أوصل الفكر والحركية -بقلة نصيبهما من العلم والتثبّت- أكثر شباب الصحوة -في العقود الأخيرة- إلى مثل ما أوصل الجهل والتقليد من قبلهم من الضُّلاَّل عن منهاج النبوة في الدين والدّعوة؛ فتغلّب الهدف الأدنى على الهدف الأعلى، والمهمّ -بل غير المهمّ!- على الأهمّ في علمهم وعملهم، في خُطبهم ودعوتهم وكفاحهم.

وإنّ نظرة صادقة واستقراءاً محقّقاً للقضايا التي تحرّك لها دعاةُ الفكرِ والحركية وأتباعُهم، وبذلوا فيها أموال المسلمين وجهودهم وحماسهم -بل ودماءهم- في العقدين الأخيرين، لتبيّن أنّ المحرّك الأول والأخير: كسب الأرض باسم الدّين! لا الدين نفسه الذي لا يكاد أكثر المسلمين يعرف وجه الحق فيه! ولم تكن هذه الأرض بأوثانها أو بدعها أو إلحادها تحرِّك ساكناً من القلوب والأبدان والألسن والهمم والأقلام مِنْ قبْل أن يثور الخلاف على التراب والولاية عليه.

ردّ الله المسلمين جميعاً إلى دينهم ردّاً جميلاً.

وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد●

من آفات الطريق

المنّ سوءٌ...

● بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي

بين وفاء المُحْسَنِ إِلَيْهِ، وعطاء المُحْسِنِ؛ خصلتان ذميمتان، وخَلّتانِ قبيحتان؛ كلٌّ منهما راجعةٌ إلى واحدٍ من الاثنين:

الأولى: غَدْرُ المُحْسَن إليه.

والثانية: مَنُّ المُحْسِنِ بإحسانه.

أمّا **الغَدْرُ**؛ فهو شأنٌ قبيحٌ جداً، يستقبحهُ كلُّ أحدٍ حتى المواقعُ له، المتلبّسُ به؛ لذلك نرى الغادرَ يُزري بنفسه، ويستقبحُ ذاته، فهو قميءُ الفعل، دنيءُ العَمَل..

أمّا المنُّ؛ فهو بابٌ إلى السُّوءِ كبير، ومفتاح للإثم عظيم، طريقٌ يهدم به ذو الإحسان إحسانَهُ، ويُفشل به صاحب الخير برّه وعطاءَه؛ ومن ههنا قيل: (المِنّة تهدمُ الصَّنيعة)؛ لأنّه للسوءِ وسيلةٌ وذريعة..

والمَنُّ -من حيث أثرُهُ- تكديرٌ سَيِّءٌ تتغيّر منه القُلُوب، وتتأثّر به النفُوس؛ لما يحويه من استعلاءٍ، وتكبُّر -من جهة المانّ-، وإذلالٍ وانكسار يُصيب الممنونَ عليه...

> **المنّ -من حيث أثره- تكديرٌ سيئ تتغير منه القلوب، وتتأثر به النفوس؛ لما يحويه من استعلاء، وتكبر -من جهة المانّ-، وإذلال وانكسار يصيب الممنون عليه...**

وقد قال الإمام أبو حيّان الأندلسي في «البحر المحيط» (٢/ ٣٠٣): «المنُّ المذمومُ: هو ذِكر المِنّة للمُنْعَم عليه على سبيل الفخر عليه بذلك، والاعتداد عليه بإحسانه...».

وفي قول الله -تعالى-: ﴿**الذين يُنفقون أموالَهم في سبيلِ الله ثم لا يُتْبِعون ما أنفقوا مَنّاً ولا أذىً لهم أجرُهم عند ربّهم**

ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون»، بيانٌ للعطاء الحقّ وصورتِهِ، ثم إيضاحٌ للمنّ الباطلِ وصفتِهِ...

قال أبو حيّان -مُشيراً إلى المنّ والأذى، وأنهما مُبطلان للصدقة، مبيّناً حقيقة المُعْطي على وجه الشرع-: «.. ولكن يُراعي جهةَ الاستحقاق؛ لا جزاءً من المُنْفَق عليه، ولا شكراً له منه، ويكون قصدُه خالصاً لوجه اللهِ -تعالى-:

فإذا التمس بإنفاقِهِ الشكرَ والثناء كان صاحبَ سُمعةٍ ورياءٍ.

وإن التمسَ الجزاءَ كان تاجراً لا يستحقُّ حمداً ولا شكراً.

والمنُّ من الكبائِر؛ لما ثبت في «صحيح مسلم» -وغيره- أنّ المانَّ أحدُ الثلاثةِ الذين: «... لا ينظُر اللهُ إليهم، ولا يُزكّيهم، ولهم عذابٌ أليم».».

وقال الإمام القرطبي -كما في «الفتح» (٣/ ٢٩٩)-: «المنُّ -غالباً- يقع من البخيل والمُعجَب؛ فالبخيلُ تعظُم في نفسِهِ العطيّةُ -وإن كانت حقيرةً في نفسها-، والمُعْجَبُ يحملُه العُجْبُ على النظر لنفسه بعين العظمة، وأنّه مُنْعِمٌ بمالِهِ على المعطى، وإن كان أفضَل منه في نفس الأمر.

وموجب ذلك كلّه الجهلُ، ونسيانُ نعمة الله فيما أنعم به عليه...».

ومن أَشَدِّ القبيح وأنكاه أن يحتجَّ مانٌّ -ليصحّحَ صنيعَه- بأنَّ المُعْطي لم يُوَفِّه حقَّه، أو لم يشكره على عطائه!!

فكان ماذا؟! أإذا أساءَ (هذا) يُجابَهُ بإساءةٍ أعظمَ ترجعُ إلى صاحبها نفسِه، وتُفسد عليه عطاءَه، بل عملَه...

وقال قال اللهُ -تعالى- ناهياً وزاجراً: **﴿ولا تَمْنُن تستكثر﴾**.

وفي «سُنن النَّسائي» عن ابن عُمر -مرفوعاً- توعُّدُ «المانّ بما أعطى» بعدم دخول الجنّة...

وروى الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» عن أبي مُليكة الذِّمَاريِّ في قوله -سبحانه-: **﴿إنهم عن ربِّهم يومئذ لمحجوبون﴾** قولَه: «المنّان والمُختال».

... فالمنُّ منكرٌ وبلاء، وعَمَلٌ يسوءُ ويُساء، وطريق إلى الأذى والأدواء، والبلاء، واللأْواء..●

في التنشئة والتربية

مُعَوّقات في طريق العلم الشرعي

● بقلم: فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان

على الرغم من أن الأمة الإسلامية حققت من الخير في عصورِ ضَعْفِها ما لم يحققه نظام في تاريخ البشرية كلها؛ ذلكم أنها قامت برسالتها في مجالات الحياة ومجالات العقيدة ومجالات الفكر والسلوك، كل هذه المجالات حققت فيها الأمة الإسلامية -رغم انحراف الخط السياسي- أشياء لم تحقق على يدي أمة أُخرى في التاريخ.

ومما يدعو للأسى والحسرة أنه توجد جهات في تلك البلاد -التي تستورد علمها ونظرياتها من هنا وهناك- تدافع عن قِيَم التغريب في نظامها التربوي بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ولن يستقيم أمر التعليم الإسلامي -هناك- حتى يكون من المواد الدراسية الأساسية: التربية الإسلامية، الكتاب والسنة، والسيرة النبوية وسير السلف الصالح من هذه الأمة؛ فيدرس الكتاب العزيز على أنه المعجزة الخالدة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يدرس بطريقة يؤْمن بها الطالب بخلود هذا الكتاب العظيم وإعجازه وكونه المفتاح الرئيسي لأقفال الحياة، وكون عقيدته وهتافه: ﴿**إن ربي على صراط مستقيم**﴾.

إنه لا يكفي أن نؤمن به مجرد إيمان، بل نتذوق حلاوته، ويملأُ حبه جوانحنا حتى يملك علينا مشاعرنا وتفكيرنا، كما يجب أن يكون أساسَ علم التوحيد وشرح العقيدة الإسلامية كما وضحه رسول الله ﷺ وفهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ثم السنة الشريفة يجب أن تدرس بطريقة يؤمن بها الطالب بقيمتها العلمية وتوجيهها للحياة وتنظيم المجتمع الإنساني على أسس إيمانيه جديدة، كما تجب العناية بنواحيها الخُلُقية والاجتماعية والسلوكية والفقهية، وتدرس الشبهات التي وجهت إلى مكانة السنة في الشريعة الإسلامية وحجية الحديث وتاريخ تدوينه وما أثاره ويثيره المستشرقون بين حين وآخر للنيل من هذه السنة المطهرة.

"يجب أن تكون السنة المحمدية، والسيرة النبوية من المواد الدراسية الرئيسة فتدرس بطريقة مؤثرة مرققة لا تنقل إلى الدارس بل ينقل الدارس إليها"

كما يجب أن تكون السنة المحمدية، والسيرة النبوية من المواد الدراسية الرئيسة فتدرس بطريقة مؤثّرة مرقّقة لا تُنقل إلى الدارس بل ينقل الدارس إليها، وتبرز فيها المواقف الإنسانية لشخص رسول الله ﷺ وقدوته، ويلي هذه المواد الدراسية دراسة أحكام التشريع والتقليد والتطرف، ويلي ذلك تعلم الفقه وأُصول الفقه والأدب العربي وعلوم اللسان، ويتحقق هذا كله بوجود علماء يجمعون بين الإيمان القوي الراسخ، والعلم العميق الواسع، ويجمعون بين القدوة الصالحة والدراسات الواسعة، يتضلّعون من القديم ويفهمون روح العصر، يأخذون من القديم الرسوخ والتبحر في العلم ومن الجديد الاستطلاع وحب الواقعية الشرعيّة.

نريد أن نكتب تاريخ الإسلام من جديد للطفل الصغير واليافع والشاب، وللقارئ عموماً الذي تأثر فكره بهذه السموم الاستشراقية، نريد أن نمنع التيارات المعاكسة للإسلام في مختلف وسائل الإعلام والتي هي المعوقات والمثبّطات بعينها.

نريد أن يكون من أهدافنا لحماية الفكر الإسلامي منعُ هذه الأدوات من بث السموم المعاكسة للإسلام وتوجيهها لخدمة الإسلام، نريد أن نذيب التناقضات بين الغذاء الفكري والثقافي؛ لكي يعيش المسلم واقعاً حياً لقيم الإسلام وتوجيهاته، فلا تقدم له قيم الإسلام وشرائعه ثم يجد في الجانب الآخر ما يناقض هذه الأشياء بما يقرأه في القصة والمجلة الساقطة، أو ما

يراه في الفيلم الذي يشاهده، فالطالب يتلقّى موروثاً ضخماً من العلوم الدينية والقيم الحياتية، ثم يجد ما ينافي ذلك في البيت أو في المدرسة أو في المجتمع... نعم؛ إن من أعظم أسباب الحَيْرة التي يعانيها الشباب المسلم اليوم هو التناقض في المجتمع الذي يعيش فيه تناقضاً بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه وبين ما يُلَقِّنُونَهُ تلقيناً!!

هذا التناقض العجيب الذي سُلّط عليهم وَمُنوا به هو السر في هذه الحيرة المردية.

"هناك تناقضات كثيرة واتجاهات متعددة تتأرجح بين التطرف والاعتدال مما أدى إلى توزيع الجهود وبعثرة الطاقات وعرقلة المسيرة وتأخير فاعلية حركة الدعوة"

هناك تناقضات كثيرة واتجاهات متعددة تتفاوت فيما بينها، وتتأرجح بين التطرف والاعتدال، وبين الفهم الصحيح للإسلام، والفهم المنقوص: مما أدى إلى توزيع الجهود وبعثرة الطاقات وعرقلة المسيرة وتأخير فاعلية حركة الدعوة الإسلامية.

نريد أن نعالج هذا النقص وهذا التقصير الواضح الظاهر في مناهج التعليم فيما يختص بالعقيدة الإسلامية التي هي السلاح الأول في مواجهة التحديات والأفكار الهدامة، يجب أن تقوم نهضة ثقافية إسلامية يقوم بها المصلحون لإزالة أسباب هذا التناقض، وربط الحياة بقيم الدين والأخلاق والسلوك الحسن، وأن تعمل أجهزة التوجيه كلها من التربية والتعليم إلى الإعلام -صحافة وإذاعة وتلفازاً- لتصحيح المفاهيم المغلوطة في الفكر والثقافة، وغرس الفضائل والمُثُل، وكشف السلبيات والانحرافات السلوكية والعقدية؛ حتى تُبنى الحياة على أسس لا تتناقض وتوجهاتِ الأمة، ولا تصادم عقيدتها وقيمها.

يجب أن ينطلق التعليم من الأهداف التي تُمَثّل حياة الأمة ويعمق العقيدة التي تقوم حياتها عليها، فلا يُدرس العلم لمجرد العلم والنظريات -منسوبة لأصحابها- دون أن نربط هذا بالقدرة العظيمة قدرة الخالق -سبحانه-، ودون أن نربط هذا بتاريخنا وتراثنا الإسلامي، ونشير إلى أسبقية المسلمين في هذه الميادين.

يجب أن تدعم المناهج الإسلامية

الدينية، وأن يعد المعلم إعداداً يؤهله لقيادة الجيل وتوجيهه، ومتى ما توافرت هذه الأسباب يمكن أن نتفاءل بمستقبل مشرف -بإذن الله-.

■ من المعوّقات ترك العمل بالعلم:

ترك العمل بالعلم يكون على قسمين:

الأول: ترك الائتمار بالواجبات الشرعية، وترك الانتهاء عن المحرمات، وهذا كبيرة من الكبائر، وعليه تحمل الآيات والأحاديث المتوعدة مَنْ تَركَ العمل بالعلم.

الثاني: ترك المستحبات والوقوع في المكروهات، وهذا يذم لما ورد في الوعيد لمن وقع فيه، يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: «والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به؛ ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلساً مع قوة الحجة فيه، فالعملُ بالعلم مدعاةٌ لحفظه وثباته، وعدمُ العمل به مدعاةٌ لضياعه ونسيانه».

■ من المعوقات في طريق العلم الشرعي الاعتماد على الكتب دون العلماء:

يرى بعض من أفاء الله عليه من العلم من نفسه قدرةً على أخذ العلم من بطون الكتب، دون الرجوع إلى العلماء في توضيح عباراته وحل مشكلاته؛ وهذا داء عُضال ابتلينا به، قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «من تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام».

■ من المعوقات في طريق العلم الشرعي أخذ العلم عن الأصاغر:

وهذه ظاهرةٌ فشت، وهي أن كثيراً من طلاب العلم يأخذونه عن صغار الأسنان وهو داءٌ عضال؛ لأن أخذ العلم عن صغار الأسنان الذين لم ترسُخ لهم قدمٌ في العلم ولم تَشِبْ لحاهم فيه مع وجود من هو أكبر منهم سناً وأرسخ قدماً يُضعف أساس المبدأ، ويحرمه الاستفادة من خبرة العلماء المشهود لهم بالعلم والفضل، واكتساب أخلاقهم التي قوّاها العلم والزمن؛ **يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-**: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا».

وذهب ابن قتيبة -رحمه الله- إلى أن الصغار صغار الأسنان، فقال عن أثر ابن مسعود: «يريد: لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحدّته وعجلته واصطحب التجربة والخبرة، ولا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به

الطمع، ولا يستزلّه الشيطان استزلال الحدث؛ فمع السن الوقار والجلال والهيبة، والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أُمنت على الشيخ فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك».

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: «قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم؛ إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من الكبير تابعه الصغير فاهتديا».

وعن أبي الأحوص عن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: «إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم سفّه الصغير الكبير».

وهذا الحكم ليس على إطلاقه فقد أفتى ودرّس جمعٌ من الصحابة والتابعين في صغرهم بحضرة الأكابر، فإذا وجد الصغير وظهرت رصانته في العلم، وأُمنت منه الفتنة: فليؤخذ عنه، فمن أراد العلم من منابعه الأصلية فهاؤم العلماء الكبار الذين شابت لحاهم وذبلت قواهم فليلزموهم قبل أن يفقدوهم.

إننا في زمان اختلَّ فيه معيارُ كثيرٍ من العامة في تقييم العلماء، فجعلوا كل من وعظ موعظة بليغة، أو ألقى محاضرة هادفة، أو خطب مرتجلاً يوم الجمعة: عالماً يرجع إليه في الإفتاء! ويؤخذ عنه العلم! وهذه ظاهرة مزرية؛ فليحذر طالب العلم في أخذ العلم عن هؤلاء، وعدم رفعهم إلى منازل العلماء.

■ من المعوقات في طريق العلم الشرعي عدم التدرُّج في أخذه:

والتدرج سنة من سنن الله في الكون، مُخالفتُها في باب العلم الشرعيِّ: بابُ شرٍّ كبير، وضلالٍ مستطير.

■ من المعوّقات في طريق العلم الشرعي الغرور والعُجب والكِبر:

معصية الله -تعالى- عائقة عن نيل العلم الشرعي؛ لأنّ العلمُ نور من الله يقذفه في قلوب من شاء من عباده، ولا يجتمع في قلب نور وظلمة؛ ولذا يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: «**إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله**»، ويرحم الله الشافعي حيث قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يُهدى لعاصي

فالتكبر والتعاظم والغرور والعُجب من أقبح الصفات التي يتلبّس بها طالب العلم؛ فيزدري هذا، ويترفّع عن هذا، ويتبختر في

مشيته، ويتشدّق في حديثه... إلى غير ذلك من صفات العُجب التي نهى الله -تعالى- عنها: ﴿**ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾.

قال في «تهذيب الإحياء»: «من أعظم الآفات وأغلب الأدواء: الكِبرُ بالعلم، وأبعدها عن قبول العلاج؛ ذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله، عظيم عند الناس، وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما».

فيجب على طالب العلم أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عُشْرُهُ من العالم؛ فإن من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته أفحش؛ إذ لم يقض نعمة الله عليه في العلم.

■ من المعوقات في طريق العلم الشرعي

استعجال الثمر:

بعضُ الناس يظن أن العلم لقمة سائغة، أو جرعة عذبة، سرعان ما تظهر نتائجها، وتتبين فوائدها، فيأمل في قرارة نفسه أنه بعد مضي سنة -أو أكثر أو أقل- سيصبح عالماً نحريراً لا يشق غباره ولا يُدرك شأوه! وهذه نظرة خاطئة وتصور فاسد وأمل كاسد، أضراره وخيمة، ومفاسده عظيمة؛ إذ يفضي بما لا تحمد عقباه من القول على الله بغير علم، والثقة العمياء بالنفس، وحب العلو والتصدر، وغالباً ما ينتهي مطافه إلى هجر الانتساب للعلم وأهله، لأن العلم بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يرى في المنام ولا يدركه إلا من اعتضد الدفاتر وحمل المحابر وقطع القفار وواصل في الطلب في الليل والنهار.

■ من العوائق في طلب العلم الشرعي

دنوُّ الهمة:

من الطلاب مَنْ هو قليل البضاعة يكتفي بقليل من الأحاديث ولا يتعداها، وبضع آيات من القرآن لا يبرحها، بضاعته في العلم قليلة، قد قعدت به همّته فمحقت مواهبه، وأزالت بهاءَ نبوغِه يقنع بيسير المعلومات ويأنف من القراءة والمطالعة، ويتشاغل عن الطلب والتحصيل، قال الفراء -رحمه الله-: «**لا أرحم أحداً كرحمتي لرجلين: رجل يطلب العلم ولا فهم له، ورجل يفهم ولا يطلب! وإني أعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم**».

فينبغي للعاقل ألا يبغي بالعلم بدلاً، ومن أنس في نفيه النبوغ والذكاء لا يشتغل بسواه أبداً، وإلا فما أشدَّ خسارته! وما أعظم مصيبته!

على طالب العلم أن يتحلّى بالصبر والجد والمثابرة، وبهذا السبيل يستطيع التحصيل، فمن طلب شيئاً وجدّ وجَد، ومن قرع الباب ولجّ ولجَ، وبقدر ما تتعنّى تنال ما تتمنى.

وبقدر الكد تكسب المعالي
ومن طلب العُلا سهر الليالي
تروم العزَّ ثم تنام ليلاً
يغوص البحر من طلب اللآلي

وقد قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب.

والمثابرة على طول طريق التعلم عنوان الهمة.

■ من عوائق طلب العلم الشرعي التسويف والتمنّي:

قيل لبعض الحكماء: مَن أسوأُ الناس حالاً؟ قال: من بَعُدت همته، واتسعت أمنيته، وقصرت آلته، وقلّت مقدرته، فليدع الأماني الكاذبة والخيالات الكاسدة وأحلام اليقظة التي تضيّع الوقت وتطيش في الميزان●

الفقه في الدين

*** العلامة محمد البشير الإبراهيمي -رحمه الله-**

إن في الفقه فقهاً لا تصل إليه المدارك القاصره، وهو لباب الدين، وروح القرآن، وعصارة سنة محمد ﷺ؛ وهو تفسير أعماله وأقواله وأحواله ومآخذه ومتاركه؛ وهو الذي ورثه عنه أصحابه وأتباعهم إلى يوم الدين؛ وهو الذي يسعد المسلمون بفهمه وتطبيقه والعمل به؛ وهو الذي يجلب لهم عز الدنيا والآخرة؛ وهو الذي نريد أن نحييه في هذه الأمة فتحيا به، ونصحح به عقائدها ونقوم به فهومها، فتصح عباداتها وأعمالها، فإن العبادات هي أثر العقائد، كما أن الأعمال هي أثر الإرادات، وما بني منها على الصحيح يكون صحيحاً، وما بني على الفاسد فهو فاسد.

إن الإسلام إنما شرع العبادات لتكون شواهد وبينات على العقائد الإيمانية، ثم جعل المسجد بيته ليكون مظهراً لتلك الشهادة، فكل ما يقع فيه من صلاة اجتماع لها، ومجالس مدارسة، وخطب فهو إعلان لتلك الشهادة، وكل ما يتصل به من محراب ومنبر ومئذنة وإمام فهو مؤد لتلك الشهادة، فيجب أن تتظاهر هذه الأشياء كلها على الحق، وأن يكون بناؤها على أساس الحق، حتى تكون شهادتها حقاً على عقائد الحق.

وإن كل ما يؤديه المسجد في -حكمته الإسلامية- فهو إقامة لدولة القرآن، وتشييد لمدرسة القرآن، ورفع لمنارة القرآن، وكل مختلف إلى المسجد، مقيم لحقه وحق الله فيه فهو «خريج» مدرسة القرآن، و«خريجو» هذه المدرسة هم الذين عدلوا ميل الناس، وكانوا في هذه الدنيا نوراً ورحمة.

وإن المسجد لا يؤدي وظيفته، ولا يكون مدرسة للقرآن، إلا إذا شاده أهل القرآن، و عمروه على مناهج القرآن والسنة، وذادوا عنه كل عادية، وما جعل القرآن المساجد لله إلا لتكون منبعاً لهدايته، وما وصف الذين يعمرون مساجد الله بأنهم لا يخشون إلا الله -إلا ليقيم الحجة على ضعفاء الإيمان ويعزلهم عن هذه المرتبة. [«جريدة البصائر» العدد(١٥٣) سنة ١٩٥١م].

مفاهيم يجب أن تصحح

الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند النقد

● بقلم: الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي

إن القائلين بوجوب الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند الرد على أهل الأهواء والبدع، وعند بيان الأخطاء والأغلاط التي وقع فيها بعض الرجال أو الطوائف -في التصريحات والمؤلفات- لا يملكون على إطلاق قاعدتهم هذه دليلاً من كتاب ولا سنة بالفهم الصحيح، **إذ إنها ليست قاعدة مطّردة عند علماء السلف وأتباعهم، وليست منهجاً مسلوكاً لعلماء الجرح والتعديل** -كما هو موضح في كتبهم -رحمهم الله-، وليست هدياً معتبراً يجب الالتزام به باطّراد عند من سَلَفَ من أئمة السلف وأتباعهم؛ ممن قام بالرد على أصحاب البدع المضلّة والأهواء التي تهوي بأصحابها في مكان سحيق.

وما استدل به أصحاب قاعدة وجوب الموازنة السالفة الذكر من أدلة التحذير من الظلم وفقدان العدل والإنصاف؛ فإن الأدلة صحيحة وحق، ولكنها ليست صريحة في إلزام من رد على صاحب بدعة أو هوى أو خطإ، أو ذكر مجروحاً بما فيه من جرح؛ حراسة للحق المبين ونصحاً للمسلمين، أن يعدد محاسن المردود عليه، ويغْري بها من قلّ نصيبه من الفقه في الدين.

وأما القائلون بعدم وجوب الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند النقد والرد المنوّه عنهما آنفاً فإنهم يملكون أوضح الأدلة من الكتاب والسنة، كقول الله -عز وجل-: **﴿وقَدِمْنَا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه**

هباء منثوراً.

وهؤلاء الذين ذكـــرهم الله ذاماً لهم ومبطلاً لأعمالهم؛ لا شك أن لهم حسنات من إكرام الضيف وحماية الجوار وسقاية الحاج ونصرة المظلوم أحياناً، ولكن لما هدموها بالشرك الأكبر لم يذكر لهم شيئاً منها بل صيَّرها هباءً منثوراً.

وعليه؛ فلا وجه صحيحاً مع من يقول بوجوب ذكر المحاسن عند نقد المساوئ وبيان الأخطاء الصادرة من أهل الأهواء والبدع، وغير هذا النص في معناه كثير.

ومن السنة: قول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس -لما أخبرته أن أبا جهم ومعاوية خطباها- قال: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد...**» الحديث، ومن غير شك أن لكلٍّ من أبي جهم ومعاوية محاسن عظيمة وأعمالاً جليلة ولكن لما كان المقام مقام نصيحة ومشورة للمرأة لم يذكر شيئاً من محاسن الرجلين، وهذا من الحكمة التي تقتضي وضع كل شيء في محله، فمتى اقتضى الحالُ الجمع بين ذكر محاسن الشخص ومساوئه، ومتى اقتضى الحال الاقتصار على ذكر المساوئ فلا يلزم إضافة ذكر المحاسن منها، وذلك كالرد على أهل الأهواء والبدع وفاحشي الغلط.

هذا وإنني لأحمد الله -تبارك وتعالى- بأنني لست منفرداً بما ذهبت إليه في هذه القضية؛ بل قد قال قبلي أئمة هدى، وأصحاب علم وفضل وتقوى بعدم وجوب الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند الرد على أهل الأهواء والبدع وأهل الأغلاط والأخطاء الفاحشة المتعلقة بالعقيدة والمنهج العملي؛ ومنهم على سبيل المثال:

- **صاحب السماحة الشيخ: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز الأثري -رحمه الله تعالى-.**
- **وصاحب الفضيلة الشيخ: عبد العزيز المحمد السلمان -وفقه الله-.**
- **وصاحب الفضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله-.**

فأما صاحب السماحة الشيخ: **عبد العزيز بن باز -رحمه الله-** فقد وُجِّهَ إليه السؤال التالي في نفس الموضوع: «يُوجد أناس يوجبون الموازنة؛ أي: أنك إذا

انتقدت مبتدعاً بدعته ليحذره الناس؛ يجب أن تذكر حسناته حتى لا تظلمه؟».

فأجاب الشيخ -رحمه الله- قائلاً: «لا؛ ما هو بلازم، ولهذا إذا قرأت كتب أهل السنة وجدت إيراد التحذير، اقرأ في كتب البخاري: كتاب «خلق أفعال العباد»، وكتاب «الأدب» في «الصحيح»، وكتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة، ورد عثمان بن سعيد الدارمي على أهل البدع إلى غير ذلك، يوردونه للتحذير من باطلهم؛ فليس المقصود تعديد محاسنهم، بل المقصود التحذير من باطلهم، ومحاسنهم لا قيمة لها بالنسبة لمن كفر إذا كانت بدعته تكفره بطلت حسناته، وإذا كانت لا تكفره فهو على خطر، فالمقصود هو بيان الأخطاء والأغلاط التي يجب الحذر منها».

وأما الشيخ: **عبد العزيز المحمد السلمان -حفظه الله-**؛ فقد وُجِّه إليه السؤال التالي: «هل يشترط الموازنة بين الحسنات والسيئات في الكلام على المبتدعة في منهج السلف؟».

فأجاب عليه بقوله: «اعلم -وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين- أنه لم يُؤثَر عن أحد من السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان تعظيم أحد من أهل البدع والموالين لأهل البدع والمنادين بموالاتهم؛ لأن أهل البدع مرضى القلوب، ويخشى على من خالطهم أو اتصل بهم أن يصل إليه ما بهم من هذا الداء العضال، لأن المريض يعدي الصحيح ولا عكس، فالحذرَ الحَذرَ من جميع أهل البدع، ومن أهل البدع الذين يجب البعد عنهم وهِجرانهم: الجهمية، والرافضة والمعتزلة والماتريدية والخوارج والصوفية والأشاعرة ويحذّر منهم». اهـ.

وأما **الشيخ: صالح الفوزان**؛ فقد وُجّه إليه السؤال التالي -بعد أن سئل عدة أسئلة عن الجماعات-: «هل نُحذّر منهم دون أن نذكر محاسنهم ومساوئهم؟».

فأجاب -حفظه الله- قائلاً: «إذا ذكرت محاسنهم دعوت لهم؛ (لا) لا تذكر محاسنهم، اذكر الخطأ الذي هم عليه فقط؛ لأنه ليس موكولاً إليك أن تدرس وضعهم وتقوّمهم إنما موكولٌ إليك بيان الخطإ الذي عندهم من أجل أن يتوبوا منه،

ومن أجل أن يحذره غيرهم، أما إذا ذكرت محاسنه قالوا: جزاك الله خيراً، هذا الذي نبغيه». اهـ.

ومصادر هذه الأقوال محفوظة لدينا والحمد لله.

وإذا كان الأمر كما رأيت وسمعت؛ فإن القوم الذين يخطئون أصحاب الردود على أهل البدع في دين الله عند اقتصارهم على رد البدعة وبيان الخطأ بدون ذكر محاسن المردود عليه لا يخلو أمرهم من حالين:

أحدهما: الجهل بمنهج السلف وأتباعهم من العلماء الربانيين في هذه القضية، وهذه مصيبة عظيمة لما في ذلك من مجانبة الحق والصواب.

> **متى سقط المبتدعون من أعين الناس... سقطت كتبهم، وسقط المدافعون عنهم والمروّجون لأفكارهم ونشراتهم**

والثاني: قصد التلبيس على الناس بذكر شيء من محاسن أهل البدع فلا يسقطون من أعين الناس؛ وبالأخص طلاب العلم منهم وهذه أعظم! وحقاً؛ أنه متى سقط المبتدعون من أعين الناس بسبب ضلالاتهم سقطت كتبهم، وسقط المدافعون عنهم والمروّجون لأفكارهم وكتبهم ونشراتهم، ولْيرجعوا إلى جادة الحق ونصرته والاقتداء بأئمته ولْيخلِّصوا أنفسهم من اتباع الهوى والتعصب المقيت الأعمى؛ فإن ذلك خير لهم وأبقى في الآخرة والأولى.

وأذكر أني قلت قديماً مخاطباً القائلين بوجوب الموازنة المذكورة ما يحسن إيراده هنا:

قلت مهلاً غُزاةَ القوم من خَلَفٍ
أين الحديث عن الأسلام والأثرُ
لقد تركتم سبيل الحق مَعْ أسَفٍ
حين انتقدتم على الأسلاف ما سطروا
في منهج النقد ذاك النهج رائده
نور الهداية للأجيال ينتشرُ
إن الردود عن الأجيال قد حُفِظت
بدون مدح لذي الأهواء فاعتبروا
إذ ما لخبرٍ عن الأسلاف من خَيرِ
يمجِّد الجهم ذاك الظالم الأشِرُ

كلا ولا الجعد في أخبارهم نُشِرت
له المحاسن يا إخوانُ فادّكروا
وهل سمعتم بُناةَ الحق من عَلَمٍ
قد قال بَشِّرْ لنهج الحق ينتصرُ
أو واصل الشر قد جاءت محاسنه
في الذكر كلا ولا الأخيار قد ذكروا
شيئاً لعمرو سقيمِ الفكر منخدعاً
بمنطق القوم من للسوء قد نَصَروا
ومَعْبَد الزيغ والغَيْلان منهجهم
كقوم جهم هم الأعداء والخطرُ
ثم الخوارج بالتكفير قد نطقوا
وقيل فيهم كلابُ النار ما ذكروا
بكثرة الجِدّ في الطاعات تزكية
لكن بياناً وإعلاماً بما مكروا
وكم سواهم من الضلال قد بُسِطت
مثالب الكُلِّ للأسلاف فاعتبروا
ولو قرأتم فنون الجرح لاتضحت
تلك القواعد بالبطلان يا بَشَرُ
ثم لقمتم رجال الفقه في صَلَف
بالظلم جهراً وذاك الجهل والغَرَرُ
قلتم غضبا على الكتاب من سلف
لما رأينا من الأسماء ما ذكروا

فقلت توبوا فإن الله يقبلكم
ويغفر الذنب كلَّ الذنب فابتدروا
وتوبة العبد قبل الموت موجبة
لرحمة الله مثل الغيث تنهمرُ
ما أحوج الناسَ في الدنيا لمغفرة
من خالق الكون جلّ الرب مقتدرُ
وساعةَ الحشر إذ تبلى سرائرهم
يا ربِّ لطفاً بمن يخشى ويدَّكِرُ
للخلق يومٌ شديد الهمِّ ذو كَرْبِ
يشيب منها صغير السن فانتظروا
يا رب هيِّئ لهذا الدين ألْوِيةً
تهدي السبيل وبالآيات تعتبرُ
ثم الصلاة على المختار سيدنا
وآلِهِ الغُرِّ مَنْ بالدِّينِ قَدْ بَصُروا
والتابعين على الحسنى فبشِّرْهم
بفضل ربي كما جاءت به النُّذُرُ
معها السلام وصافي الحب باعثُهُ
نص الكتاب وخير الهدي فاعتبروا
والربَّ أرجو لما سَطَّرتُ من زلل
عفواً وعفواً وما الأهلاك قد سطروا
فوعده الحق قد صحت أدلته
لا خُلْفَ فيه فهل نصغي ونعتبرُ؟؟

في الدعوة والمنهج

رفع الحجاب

عن الفرق بين دعوة أهل السنة ودعوة أهل البدع والأحزاب

● بقلم: الشيخ أبي الحسن المأربي

الحمد لله أولاً وآخراً باطناً وظاهراً، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى، ونبيّه المُجتبى، رحم الله ببعثته أهل الأرض، وصان به الدم والمال والعرض؛ فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن قومه، ورسولاً عن أمته، اللهم أحينا على سنته، وأمتنا على ملته، واسقنا من حوضه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.

أما بعد:

ففي هذه الصفحات بيانٌ لكثير من الفروق بين دعوة أهل السنة وغيرهم؛ والقصد من ذلك بيان الرُّتبة العليّة للدعوة السلفية، فيشكر أهلُها ربَّهم على هدايته إياهم لهذا السبيل، فإنّ شُكْرَ النعمة فرع عن معرفتها وتصورها، وأيضاً أردت من ذلك بيان اضطراب الدعوات الأخرى ليحذر منها المسلمون؛ ولينخلع منها من وقع فيها -وهو يريد نجاة الدنيا والآخرة-.

وقد نبهت في آخر مقالي -هذا- على أنه يجب الحذر من الإفراط والتفريط، وأن هذه الفروق منها ما هو فَرق صحةٍ؛ ومنها ما فرق كمال؛ فبعضها يُفَرِّق بين صاحب الفرقة الناجية وأصحاب الفرق الهالكة، وبعضها يفرق بين الكمال في الدعوة والنقص فيها -وإن كان الجميع من أهل السنة- وذكرت -أيضاً- أنه ينبغي على من ينتسب لدعوة أهل السنة أن ينظر أين هو من هذه الفروق؟ أعني الموافِقة للحق منها؛ كي لا يكون انتسابه للسنة مجرد عاطفة أو كلمة باللسان؛ فإن السنة منهج في الاعتقاد والأقوال والأفعال، وإنما احْتَجْتُ للتنبيه

-أيضاً- على ذلك في مقدمة هذه المقالة لأهمية هذا الأمر.

وإني أحمد الله عز وجل إذ شاع بين طلبة العلم في هذه الدعوة الاعتدالُ في الأمر كله، زادنا الله جميعاً بصيرة وثباتاً على الحق، إنه جواد كريم، بر رحيم.

● *سؤال*: **كَثُرت في زماننا الأهواء حتى التبس على كثير من الناس معرفة المحق من المبطل، ونريد أن تُبيّن لنا العلاماتِ الواضحةَ التي نميز بها بين الرجل الذي يتبع منهج أهل السنة والجماعة، وبين الرجل الذي يسلك سبيل أهل البدع والأهواء والحزبيات، حتى نعرف أهل الحق، فنلزم نهجهم ونكثّر سوادهم، ونعرف أهل الباطل، فنحذرهم، ورحم الله من أغاث ملهوفاً.**

■ *جواب*: هذا الذي ورد السؤال عنه من الأمور المهمة ومما يعم بها النفع للأمة، وقد سبق أن أمليت كثيراً من هذه العلامات البارزة في دعوة أهل السنة على طلبة العلم في دار الحديث بمأرب، فأُعيد ذكرها -إن شاء الله تعالى- مع ما تيسّر من الزيادة عليها، ولما كان أهل السنة -قديمًا وحديثاً- ينكرون أقوال وأحوال أهل الأهواء، ويحذّرون الأمة من تلكم الأهواء، فرأيت أن أقتدي بهم في هذا الباب، وأذكر ما حضرني من ذلك، مع الاعتناء بما استجدَّ من أحوال، لا سيما وأهل العلم -رحمهم الله- قد بيّنوا عقائد الفرق السابقة أيَّما بيان، وقد كتبت في ذلك رسالة مستقلة سميتها «السراج الوهاج في بيان المنهاج» نفعني الله بها في الدارين فأقول:

● **أهل السنة**: يحكِّمون الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح -لهم وعليهم- ولا يُقدِّمون على ذلك عقلاً أو عادة أو مكاشفة أو ذوقاً أو منامًا أو حزباً، وأما غيرهم فيحكمون بهذه الأمور أو ببعضها على الكتاب والسنة؛ فما خالفها من الكتاب والسنة حرّفوه وصرفوه؛ فإن عجزوا عن ذلك ردُّوه! بدعوى أنه يخالف الأصول -أي: أصولهم هم- أو أنه آحاد، أو أنه يخالف مصلحة الدعوة -أي: فهمهم للدعوة لا فهم سلف الأمة-.

وقد رحم الله أهل السنة بوقوفهم عند فهم السلف الصالح وترك ما سواه.

● **أهل السنة**: يوالون ويعادون على المنهج الحقّ بعدل وإنصاف، وغيرهم يوالي ويعادي على هواه وحزبه؛ فمن وافقهم على ما هم عليه فهو المقرّب المبجّل؛ وإن كان فاجراً شقياً، ومن خالفهم فهو المعذّب المهمل؛ وإن كان عالماً تقياً، وكأن من وافقهم فهو من أهل بدر؛ «اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم»، وكأن من خالفهم فلا تنفعه شفاعة الشافعين.

● **طالب العلم من أهل السنة**: يعتني بالعلوم الشرعية ويظهر ذلك عليه بالرحلة لأهل العلم والاستفادة من علمهم وخُلُقهم والاعتماد على ما يثبت من الأدلة الشرعية والعمل بمقتضى العلم الشرعي؛ بخلاف أهل البدع: فإنهم يحذّرون من علوم السنة وأهلها، ويكرهون علم الإسناد والأثر، ويحرّضون طلبة العلم -مع هذا- على الانكباب على الجرائد والمجلات والصحف اليومية أو الأسبوعية أو نحو ذلك، وأهل السنة لا يمنعون الاطّلاع على ذلك لكن العناية العظمى عندهم بالعلوم الشرعية، وأما غيرهم فإن اعتنى بشيء من العلوم الشرعية فبمقدار ما يخدم به حزبه ودعوته، أو يشغّب به على صغار أهل السنة أو يشنّع به على علمائهم **﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾**، و**«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»**.

● **السني -لا سيما في حالة الاختيار-**: يعتني بالتصفية الشاملة: في العقيدة وفي العبادة وفي الخطابة والكتابة وفي المناهج والصفوف ثم التربية على هذا الإسلام المصفى مما عَلَقَهُ من شوائب الجهل والكيد.

وغيرُ السني شعاره الغُثائية والحرص على الكَمّ لا الكيف في كل ما مضى ويَعُدُّ أهل التصفية والتربية متنطعين.

● **أهل السنة**: يحرصون أن تكون أسماؤهم وألقابهم كما كان عليه سلفهم؛ لأنهم يعلمون أن التسمية تكون أول أمرها كلمة سهلة، وفي نهاية أمرها تكون ملة ونِحلة، فتراهم يتسمون بـ: أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والسلفيين ونحو ذلك.

وأما غيرهم فيسمي نفسه بما اختاره له أميره أو قائد حركته، ويتبرّم من الأسماء السابقة ويضيق بها ذرعاً فالله المستعان.

● **أهل السنة**: أهل اعتدال مع الموافق والمفارق؛ فيشهدون بما عند المخالف من

حق -إن كان في ذلك مصلحة شرعية- ويردُّون على من كان منهم خَطَأَه -وإن كان مقدَّماً فيهم-، وهمُّهم في ذلك الذب عن السنة، وغيرهم يغضُّون الطرف عن زلات أصحابهم -وإن كانت في العقيدة- ويتتبَّعون عثرات مخالفيهم ويشنّعون بها عليهم -وإن كانت لها وجهُ احتمالٍ- فلسانُ حالهم يقول:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

● **تاريخ دعوة أهل السنة:** قديم فيهم، يرجعون بدعوتهم إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم-، ومن تابع هداهم ممن جاء بعدهم، وأما غيرهم فتبدأ دعواتهم بمؤسِّسيها ونُظَّارها، وربما نظر بعضهم بلسان الحال أو المقال إلى هدي محمد ﷺ الذي هو خير الهدي: أنه لا يصلح الوقوفُ عنده في هذا الزمان؛ مع إنه لا يصلحُ آخر هذه الأمة إلا بما صَلَحَ به أولها.

● **أهل السنة:** يقولون بسلفية المنهج والمواجهة، وغيرهم يقول: سلفية المنهج عصرية المواجهة، ويعنون بذلك: أن الاشتغال في هذا العصر يكون بالحكام وأفعالهم، ولا يشتغل بمسائل الأسماء والصفات إلا بما يحفظها فقط من الاندثار والنسيان.

أما أهل السنة فيُعطون لكل شيء حجمه على ما كان عليه سلفُهم، وبما يوافق قواعد السلف في تكميل المصالح وتحصيلها، أو تعطيل المفاسد وتقليلها.

● **منهج أهل السنة:** كله حق؛ لأنه هو الإسلام والخطأ إنما يكون في آحاد أهل السنة، ولا يجتمعون على ضلالة، ومناهج أهل البدع والحزبيات العصرية لا يُمكن أن تكون حقّاً من جميع الوجوه، بل فيها حق بمقدار قربها من السنة، وفيها من الباطل بمقدار بُعدها عن السنة، فلو التزم أهلها بجميع أصولها؛ ما حقّقوا العبودية الصحيحة لله رب العالمين؛ بخلاف أهل السنة فالحقُّ مذهبهم والسنة شعارهم ودثارهم وغيرهم ليس منهجه بمعصوم، ولا إجماعهم بحجة.

● **أهل السنة:** يحثُّون الناس على اتباع العلماء بالدليل الشرعي، ويرجعون إلى أهل العلم في مسائل الاجتهاد التي تتجاذب فيها الأدلة، ويلتبس فيها الأمر على الناظر، فيرون أن اجتهاد أهل العلم خير لهم من اجتهادهم، وإن خالف الطالب شيخه لدليل ما فإنه يترحم على

شيخه ويستغفر له؛ بخلاف غيرهم فإنهم لا يرجعون للعلماء، إنما يرجعون لآراء الجماعات أو نحوهم ويرمون العلماء بالعَمَالة والجُبن والركون إلى الدنيا، وإن أخذوا بفتوى العلماء فبحسب ما يخدم فكرتهم، وعند ذاك يرفعون من شأن العلماء؛ فهم علماء لهم عند الحاجة فقط؛ وإلا فهم عندهم جَهَلةٌ بواقع الأمة يوجّههم حُكّامُهم للفتوى التي تخدمهم، كما يوجه السادة عبيدهم: **﴿كَبُرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾!!**

● **أهل السنة:** أبعد الناس عن الفتن ودعوتهم تضعف في الفتنة، وغيرهم دعاة للفتن، وإن لم يكن بعضهم داعياً لها فمنهجه تربة صالحة لازدراع الفتن فيها -علم ذلك أم لم يعلم!-، ولما كانت دعوة أهل السنة صافية واضحة فإنها تربو في الصفاء والهدوء، وغيرهم يحب الصيد في الغبار أو في الماء العكر، ويتسلق على أكتاف الحوادث عسى أن ينال بُغيته!!

● **أهل السنة:** يعتنون ببناء قاعدة صُلبة على المعتقد الصحيح، والاستقامة على أمر الله في الظاهر والباطن، وينظرون إلى القمة في الأمة أنهم محتاجون إلى الدعوة، ليصلح الله بها شأنهم، فينصحونهم بالتي هي أحسن، ويذكّرونهم بحق الله -عز وجل-، وحق الرعية ومع أنهم يكرهون ما يأتي منهم ومن غيرهم مخالفاً لأمر الله -عز وجل-، فإنهم لا يكيدون لولاة أمورهم المسلمين -وإنْ جاروا-؛ بخلاف غيرهم... الذين لا يهتمون بالدعوة للعقيدة الصحيحة وإحياء السنن وإماتة البدع، إنما جلُّ همِّهم متى يَثِبُون على زمام الأمور؟ وإن كانت المجتمعاتُ تعجُّ بالشرك الصراح أو الكفر البواح؛ فإنهم يرون أنّه ليس هذا وقتَ الدعوةِ إلى ذلك، فإن عجزوا عن مرادهم ألهبوا نار الفتن هنا وهناك تارة بدوي الانفجارات وأخرى بضجيج المظاهرات، فتكون النتيجة: **﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾** وإن كان ذلك عن حسن نية -عند البعض- إلا أنه لا يُسمن ولا يغني من الجوع، والله المستعان.

● **أهل السنة:** لا يدعون الناس إلى بيعات أو عهود مفرقّة لصفوف الأمة، إنما يبايعون من ولاه أهلُ الحل والعَقد أو من غلب عليها بشوكته -جمعاً للكلمة وسلامة للصف- وينصحون المخالفين بأن يتقوا الله في المسلمين، ولا يزيدوا المسلمين فرقة فوق فرقتهم.

● **أهل السنة:** لا يلعنون الولاة فوق

المنابر أو غيرها، ولا يشهِّرون بأخطائهم، ولا يهيِّجون العامّة والدهماء والمتربصين بالأمة عليهم، ومع ذلك فلا يتزلّفون إليهم، ولا يحرصون على ملازمتهم والانتفاع بدنياهم، بل ينصحونهم النصيحة الصادقة، ويشيرون عليهم بما يُعينهم على القيام بحق الله وحق العباد، ويهتمون بالدعوة إلى الله، لقوله -تعالى-: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**.

ويسمعون ويطيعون في المعروف ويصبرون على الأذى ويلجأون إلى الله -عز وجل- لكشف كربة المسلمين ولا يتكلّفون في تسويغ المواقف والتماس الأدلة الواهية؛ فإن الدين النصيحة.

● **السني:** يبحثُ عن الدليل؛ فإن وجده اعتقد ما فيه؛ وغيره يعتقد -أولاً-؛ فإذا طُلب منه الدليل على قوله ذهب يلتمس الأدلة، حتى لو لم يجد إلا المنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة! وهذا من شؤم الاعتقاد قبل الاستدلال.

● **أهل السنة:** لا يردُّون الخطأ بالخطإ، إنما يردون الباطل بالحق والضلالة بالهدى؛ فلا يهمهم أن يصلوا لمرادهم بأي سبيل؛ فالغاية عندهم لا تُضفي الشرعية على الوسيلة، بل لا بد من شرعية الغاية وشرعية الوسيلة؛ وغيرهم يهمُّه كسب المواقف، بحق أو بباطل، وهو مستعدٌّ أن يلْبَس لكل مجلس قميصاً، وقد يكون متأولاً، وقد يكون مستبصراً، والمعافى من عافاه الله -عز وجل-.

● **أهل السنة:** يتّبعون المحكم من الأدلة والمسائل، ويردُّون الأجزاء إلى الكليات، ويجمعون بين الأشباه والنظائر، ويفرّقون بين الأضداد، وكلامهم يشد بعضه بعضاً، وفتاواهم ثابتة مستقرة، وإن تغيرت فلقرينة؛ وغيرهم يتّبعون المتشابه من القول، ولا يبالون أن يجتهدوا في تأصيل أصل، وإن كان ينقض أصولاً سابقة لهم، ولذا فكلامُهم على مدار الشهر أو أكثر يتناقض، والفتوى ما لم تقيد بالبرهان؛ فلا خطام لها ولا زمام.

● **الشمولية عند أهل السنة:** الدعوة لكل معروف والنهي عن كل منكر -حسب الاستطاعة الشرعية- فأهل السنة هم الكاملون في معتقدهم ودعوتهم وعبادتهم ونهج تربيتهم وصفوفهم، وإن وجد تقصير فمن جهة الفرد لا من جهة منهجهم، وليست الشموليةُ: الانخراطَ في السياسة العصرية، أو الاعتناء بما يسمى بـ (المسرح الإسلامي)، و (الكرة الإسلامية) وغير

ذلك مما يصلُحُ أن يقال عليه: هذا من تسمية الشيء بغير اسمه.

● **أهل السنة:** يقتصرون على تخطئة المخالف منهم -مع معرفة منزلته-، وأهل البدعة يكفّرون من خالفهم وإن كان من أئمتهم، فيقولون: ارتدّ أو كفر أو نحو ذلك.

● **كثيرٌ من الفِرق -بمذاهب أهل السنة-:** تتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا تتجاسر، فتراهم لا يُفصحون بمذهبهم إلا عند من يثقون به، ويتوارون من الناس من سوء مذهبهم، وخُبث طريقتهم.

أما أهل السنة فعلى الحق ظاهرون، ولا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى يأتي أمرُ اللهِ وهم على ذلك.

● **أهل السنة:** يدعون إلى الاتباع والاجتماع، فهم أهل سنة وجماعة، وغيرهم يدعو إلى اجتماع ولو على خلاف السنة، فيبقى القبوري والرافضي والخارجي وغير ذلك على ما عليه؛ وإن مكث سنوات في الدعوة فما دام أنه يكثّر السواد!! فقد أدى الذي عليه عندهم!! وفي مقابل هؤلاء من يعتني بمسألة -دون النظر إلى حال الناس- وإن تفرقت الأمة، والحق وسطٌ بين طرفين.

● **أهل السنة:** يربطون الناس بالدليل الشرعي وفَهْم أهل العلم؛ وغيرهم يربطون الناس بالبيعات والعهود، فإذا أرادوا أن يصححوا سيرهم، ويلتزموا بمنهج السلف هددّوهم بالأحكام التي تلزم ناقض العهد وناكث البيعة! بعد ما أقنعوهم بأن من مات وليس في عنقه بيعة؛ مات مِيتة الجاهلية؛ مع أن المقصود من هذا الحديث بيعة من ولاه الله أمر المسلمين، واجتمع عليه المسلمون، كما فسّره الإمام أحمد -رحمه الله-.

● **أهل السنة:** لا يتصدّر دعوتهم جاهل بالشرع، ولا مثير فتنة، ولا من يلهث وراء الدنيا، بخلاف غيرهم فقد يترأس فيهم من ليس له صلة بالعلم الشرعي أو معتقد السلف، بل ربما تولى مركز التوجيه والقيادة!

● **أهل السنة:** أعلم الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق، فأصولهم وقواعدهم قائمة على استقراء تام، وغيرهم يعرف باباً من العلم ويضيّع أبواباً، ويقيم أصلاً ويهدم أصولاً؛ فأهل السنة هم أهل العلم، فتراهم يرحمون الخلق رحمة شرعية، ويعطون لكلٍّ قدرَه، فلا يرفعون وضيعاً ولا يضعون رفيعاً، ولا يَبْخسون الناس أشياءهم، ورُبَّ علم عند مبتدع -لولا تعريف أهل السنة به- لذهب علمه●

يتبع في العدد القادم -إن شاء الله-.

منهج الإمام الطبري في تفسيره

● بقلم: أكرم بن محمد زيادة

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[النحل ٤٤].

«ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه» أحمد في «المسند» (٤ / ١٣٠ - ١٧٢١٣).

آية وحديث يحددان المنهج الذي ينبغي على أهل التأويل أن يلتزموه في تأويلهم، وهو عين المنهج الذي اتبعه الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسيره العظيم الذي نحن بصدد دراسة منهجه فيه.

ومما لا خلاف فيه بين أهل السنة والجماعة أن تفسير الطبري -رحمه الله- هو من أجلّ التفاسير التي تبنّت الآثار والسنن؛ فضلاً عن القرآن في بيان تأويل آياته الكريمة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «تفسير محمد بن جرير الطبري» هو من أجلّ التفاسير وأعظمها قدراً. [«مجموع الفتاوى» (١٣ / ٣٦١)].

ولقد حدّد الإمام الطبري -رحمه الله- هذا المنهج إذ يقول: «تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة:

أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر اللهُ بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة مثل وقت قيام الساعة ووقت نزول عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها والنفخ في الصور وما أشبه ذلك.

والوجه الثاني: ما خص الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته، وهو ما فيه -مما بعباده إلى علم تأويله- الحاجةُ، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان

الرسول ﷺ لهم تأويله.

والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، ولا يوصل إلى علم ذلك إلا من قِبَلِهم.

فإذ كان ذلك كذلك فأحق المفسرين بإصابة الحق -في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعبادة سبيلٌ- أوضحهم حجة فيما تأول وفسَّر، مما كان تأويله إلى رسول الله ﷺ دون سائر أمته من أخبار رسول الله ﷺ الثابتة عنه: إما من جهة النقل المستفيض، وإما من جهة نقل العدول الأثبات، فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته.

وأصحُّهم برهاناً فيما ترجم وبيّن من ذلك- مما كان مدركاً علمه من جهة اللسان: إما الشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنًا من كان ذلك المتأوّل والمفسر، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة» [مقدمة تفسير الطبري (١ / ٦٦)].

-ولذلك عدّ شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- العدول عن تفسير الصحابة والتابعين من البدع التي يخطىء صاحبها وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه [مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٦١)].

ومن هنا كان التزام الطبري -رحمه الله- هذا المنهج القويم والمنطق السليم والصراط المستقيم في تأويل آيات الكتاب الحكيم.

وبالاستقراء وجدناه قد التزم في تأويله وتفسيره ما يلي:

١- بيان المعنى الإجمالي للآية.

٢- سياقه الأخبار والأثار حسب ما يظهر له من صحة النقل أولاً، ثم ما كان دون ذلك من خلال معرفته الوثيقة بأحوال الرواة الذين روى عنهم، مبتدئاً بالحروف ثم بالكلمات ثم بالعبارات ومختتماً بالآية ككل.

٣- سياقه الأوجه النحوية والصرفية المحتملة من اللفظ أو العبارة عند مدرستي النحو والصرف الكوفية والبصرية ثم ترجيح أحد هذه الوجوه مبيناً أسباب وأدلة الترجيح.

٤- سياقه الاعتراضات، والشبه المحتملة والواردة على الألفاظ والعبارات من أقوال أهل البدع والكلام -الذين غالباً ما يبهمهم ؛ ولكنه يصفهم ويلمح إليهم-، ثم الرد عليها وبيان أدلة الرد، نقلاً وعقلاً مبتدئاً بالأول.

٥- سياقه الشواهد الشعرية والأمثلة العربية والعبارات النثرية والقياسات اللغوية التي توافق المنطق واللسان العربي، والتي يُستشهد بها على بيان المعنى المراد من الألفاظ أو العبارات لتأويل وتفسير الآيات، وغالباً ما ينسب تلك الشواهد إلى أصحابها.

٦- شرح المعاني الإجمالية لهذه الشواهد الشعرية والأمثلة النثرية، والتي تتوافق مع المعاني التي أوردها من أجل بيانها.

٧- إيراد أقوال أهل العلم وإجماعاتهم واختلافاتهم، في التأويل أو العقيدة، أو اللغة أو غيرها، والترجيح بينها وبين أدلة الترجيح.

٨- سياقه القراءات وأوجهها المختلفة المنقولة عن أئمتها وبيان الراجح منها والمرجوح، والشاذ والمتروك، وبيان أدلة ذلك.

٩- سياقه المناسبات وأسباب النزول وبيان الراجح من المرجوح إن تعددت الروايات في ذلك مع بيان الأدلة النقلية والعقلية في ذلك.

١٠- إيراد بعض الأحكام الفقهية العلمية وأقوال أهل العلم واختلافاتهم في ذلك ؛ علماً أنه كان صاحب مذهب فقهي متّبع.

١١- مناقشة بعض طرق الأخبار والآثار التي يسوقها ويبين صحيحها من ضعيفها؛ أحياناً تصريحاً بذلك، أو تلميحًا وإشارة من خلال ألفاظ التحمل التمريضية مثل: (حُدّثت، وأُخبرتُ، ونحوُها) بإبهام من روى عنهم أو ساق تلك الأخبار والآثار من طرقهم.

١٢- بيان روايات أهل الكتاب وما وافقوا فيه شرعنا وما خالفوه فيه، وبيان المسكوت عنه -على الغالب-.

١٣- سياقه الترجيح وأسبابه بعد كلٍّ من هذه السياقات السالفة الذكر.

١٤- إثبات ما توصل إليه من إيراد هذه السياقات في معنى إجمالي يبين خلاصة المراد من تأويل وتفسير ومفهوم العبارة أو

الآية.

ولبيان حقيقة ما سبق اخترت ما بدأ به ربنا -تبارك وتعالى- من كتابه ونقله إلينا نبينا -عليه الصلاة والسلام-، وأثبته أصحابه من بعده في رسم المصحف الإمام وما نسخ منه بعد ذلك وأجمعت عليه الأمة على مختلف أعصارها وأمصارها بلا خلاف بينها، ألا وهي قوله -تعالى:- بسم الله الرحمن الرحيم:

فهو يصدّر تأويله أولاً بالآية التي يريد تأويلها ؛ وهي هنا ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ ثم يبدأ بتأويلها حرفًا حرفاً، ثم كلمة كلمة، ثم عبارة عبارة، حتى يصل إلى معناها كاملاً وقد استوعبنا في الكلمتين الأوليين منها وهما ﴿**بسم الله**﴾ استوعبنا اثنتي عشرة نقطة من النقاط السابقة، علماً أنه قد كتب في تأويلها أكثر من عشر صفحات من القطع الكبير من (١ / ٨٧) ولنهاية (١ / ٨٨) من طبعة دار الكتب العلمية (١٤١٨) ومن(١ / ٧٧) ولنهاية (١ / ٨٩) من طبعة دار الفكر (١٤١٥) ومن (١ / ٥٠) ولنهاية (١ / ٥٩) من طبعة دار الفكر (١٥٠٥).

فيبدأ بيان المعنى الإجمالي للآية -أولاً-؛ إذ يقول: القول في تأويل ﴿بسم﴾ قال: إن الله -تعالى ذِكْرُه وتقدست أسماؤه -أدّب نبيه محمداً ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مَهَمَّاته وجعل ما أدبه به من ذلك وعلّمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها وسبيلاً يتبعونه عليها في افتتاح أوائل منطقهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: بسم الله؛ على ما بطن من مراده الذي هو محذوف.

ثم يبدأ بتفسير الكلمة حرفاً حرفًا فيقول: وذلك أن الباء من (بسم الله) مقتضية فعلاً يكون لها جالبًا ولا فعل معها ظاهر، فأغنت سامع القائل: (بسم الله) معرفته بمراد قائله من إظهار قائل ذلك مراده قولاً؛ إذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمرًا قد أحضر منطقه به إما معه وإما قبله بلا فصل ما قد أغنى سامعه من

دلالة شاهده على الذي من أجله افتتح قبله به، فصار استغناء سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه نظيرَ استغنائه -إذا سمع قائلا قيل له: ما أكلت اليوم؟ فقال: طعامًا- عن أن يكرر المسؤول -مع قوله: طعاماً-: أكلت لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه يتقدم مسألة السائل إياه عما أكل، فمعقول؛ إذ إن قول القائل إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم افتتح تاليًا سورة أن إتْباعَه (بسم الله الرحمن الرحيم) تلاوة السورة يُنبئُ عن معنى قوله: بسم الله الرحمن الرحيم، ومفهوم به أنه مريد بذلك أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك قوله: بسم الله عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله يُنبئُ عن معنى مراده بقوله: بسم الله الرحمن وأنه أراد بقولِه: بسم الله، أقوم بسم الله وأقعد بسم الله، وكذلك سائر الأفعال.

ثم يشرع في سياقة الآثار التي تشهد لهذا التأويل فيقول:

وهذا الذي قلنا في تأويل ذلك هو معنى قول ابن عباس (١٣٨) الذي حدثنا به أبو كريب؛ قال حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: «إن أول ما نزل به جبريل على محمد، قال: يا محمد! قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم -ثم قال-: قال: بسم الله الرحمن الرحيم -قال-: قال له جبريل: قل: بسم الله -يا محمد-!».

ثم يشرع بطرح شبه أهل الأهواء ليتصدى للرد عليها فيقول: فإن قال لنا قائل: فإن كان تأويل قوله: بسم الله ما وصفت، والجالب (الباء) في بسم الله ما ذكرت؛ فكيف قيل: بسم الله؛ بمعنى: أقرأ بسم الله، أو: أقوم، أو: أقعد بسم الله، وقد علمت أن كل قارئ كتابَ الله فبعون الله وتوفيقه قراءته، وأن كل قائم أو قاعد أو فاعل فعلاً فبالله قيامُه وقُعودُه وفعله، أو هلاّ إذا كان ذلك كذلك قيل: بالله الرحمن الرحيم. ولم يقل: بسم الله! فإن قول القائل: أقوم وأقعد بالله الرحمن

الرحيم، أو أقرأ بالله أوضح معنى لسامعه من قوله: بسم الله إذ كان قوله: أقوم وأقعد بسم الله يوهم سامعه أن قيامه وقعوده بمعنى غير الله.

وها هو الآن يتصدى لدحض هكذا شُبَه؛ فيقول: قيل له إن المقصود إليه من معنى ذلك غير ما توهمته في نفسك؛ وإنما معنى قوله: ﴿بسم الله﴾: أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، أو: أقرأ بتسمية الله، أو: أقوم وأقعد بتسمية الله وذكره، لا أنه يعني بقوله: بسم الله: أقوم بالله، أو: أقرأ بالله؛ فيكون قول القائل-: أقرأ بالله أو أقوم وأقعد بالله- أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله: بسم الله.

ثم يشرع بطرح القضايا اللغوية والنحوية أو الصرفية أو كليهما -وهو هنا يطرحها صرفياً فحسب- فيقول: فإن قال: فإن كان الأمر في ذلك على ما وصفت فكيف قيل: بسم الله، وقد علمت أن الاسم اسم وأن التسمية مصدر من قولك: سميت؟!

وها هو الآن يتصدّى لتوجيهها التوجيه السليم فيقول: قيل: إن العرب قد تخرج المصادر مبهمة على أسماء مختلفة كقولهم: أكرمت فلاناً كرامة، وإنما بناء مصدر أفعلت إذا أخرج على فعله الإفعال، وكقولهم: أهنت فلاناً هوانًا وكلّمته كلاماً، وبناء مصدر فعلت التفعيل.

ثم يسوق الشواهد الشعرية فيقول: ومن ذلك قول الشاعر:

أكفراً بعد رد الموت عني

وبعد عطائك المائة الرتاعا

ثم يتصدى لبيان وشرح الشاهد الشعري ليتوافق مع التأويل الذي أوله موافقًا للّسان ومنطق العرب فيقول: يريد إعطاءَك.. ثم يسوق عدة شواهد على ذلك، ويشرحها ويقول: والشواهد في هذا المعنى تكثر، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفّق لفهمه.

وها نحن نجده الآن يقرر بعد التدليل الأثري -بأثر ابن عباس-، ثم بطرح الشبه ودحضها، ثم بميزان الصرف والتدليل عليه بالشواهد الشعرية العربية وربط معانيها بمراده في التأويل الأثري ابتداء، ثم اللغوي العربي انتهاءً يقرر التأويل الذي أوّله، وأنه

وافق فيه لسان العرب ومنطقهم ولم يخرج بذلك عن فهم السلف من الصحابة -ابن عباس-.

ثم عاد إلى الأثر رقم (١٣٩) ليؤكد موافقته لاستنتاجه وتقريره فيقول: وهذا التأويل من ابن عباس ينبئ عن صحة ما قلنا من أنه يراد بقول القائل مفتتحاً قراءة بسم الله الرّحمن الرحيم: أقرأ بتسمية الله وذكره وأفتتح القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ثم يشرع ببيان بعض الأحكام الفقهية العلمية، وينقل الإجماع ويلزم به، ويبين فساد قول مخالفه فيقول: كالذي أمروا به من التسمية على الذبائح، والصيد، وعند المطعم والمشرب، وسائر أفعالهم ، وكذلك الذي أمروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله، وصدور رسائلهم وكتبهم. ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة أن قائلاً لو قال عند تذكيته بعض بهائم الأنعام: بالله، ولم يقل : ﴿بسم الله﴾ أنه مخالف بتركه قيل: بسم الله ما سُنَّ له عند التذكية من القول.

وها هو الآن يتصدى لمسألة عقَدِيَّة تتعلق بأسماء الله -تعالى-، وهي: هل الاسم عين المسمى أم لا؟ فيقول: وفي إجماع الجميع على أن قائل ذلك تارك ما سن له من القول على ذبيحته إذا لم يقل : ﴿بسم الله﴾ دليل واضح على فساد هذا الموضع من مواضع الإكثار في الإبانة عن الاسم: أهو المسمى أم غيره؟ أم هو صفة له؟ ثم ناقش هذه المسألة من خلال الشواهد الشعرية والأمثال العربية، وسياق الشبه ودحضها على ما بينا سابقاً ثم يقرر أن الاسم غير المسمى؛ ولكن على تفصيل أهل السنة وليس إجمال أهل البدع.

وها نحن ذا نجده يسوق الخبر وَمِنْ بعدِه الأثر ويشير إلى ضعفه فيقول في الأثر رقم (١٤٠): وأما الخبر الذي حدثنا به إسماعيل بن الفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مُلَيكة، عمن حدثه، عن ابن مسعود ومِسْعَر بن كدام، عن عطية، عن أبي سعيد: قال: قال رسول

الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلّمه، فقال له المعلم: اكتب بسم، فقال له عيسى: وما بسم؟ فقال له المعلم: ما أدري، فقال عيسى: الباء بهاء الله والسين سناؤة والميم مملكتــه» قــال: فـأخـشى أن يكون غلطاً من المحدث! ثم قال: وأما تأويل قول الله: (الله) فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس، ثم ساق الأثر رقم (١٤١).

أما بالنسبة للقراءات وتوجيهها فيقول في الأثر رقم (١٤٢) (١ / ٨٢): وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن نافع بن عمر، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، أنه قرأ: ﴿**ويذرك وإلاهتك**﴾ قال: عبادتك، ويقال: إنه كان يعبد، ولا يعبد.

ثم ساق إسناداً آخر لهذا الأثر برقم (١٤٣) ثم قال: وكذلك كان عبد الله يقرؤها ومجاهد، وعزّز ذلك بالأثر رقم (١٤٤) أيضاً فقال: وحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: أخبرني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿**ويذرك وإلاهتك**﴾ قال: وعبادتك.

وأما علمه بالقياس وعمله به فيتجلى في قوله: فإن قال: فإن كان جائزاً أن يقال: لمن عبد الله: ألَهَهُ على تأويل قول ابن عباس ومجاهد فكيف الواجب في ذلك أن يقال: إذا أراد المخبر الخبر عن استحباب الله ذلك على عبده؟ قيل: أما الرواية فلا رواية عندنا؛ ولكن الواجب على قياس ما جاء به الخبر عن رسول الله ﷺ. ثم ذكر الخبر رقم (١٤٥) ١ / ٨٣ في قصة عيسى -عليه السلام- ثم ذكر قوله -تعالى-: ﴿**لكن هو الله ربي**﴾ قال: أصله: لكن أنا هو الله ربي.

وأما سياقته لأسباب النزول وأخبار أهل الكتاب فيتجلّى في سياقته لأسباب نزول آيات أمر بني إسرائيل بذبح البقرة من سورة البقرة فيورد في ذلك أكثر من عشرة آثار، من الأثر رقم (١١٧٤) ١ / ٣٧٩ ولغاية الأثر رقم (١١٨٤) ١ / ٣٨٢.

هذا مُجمل منهج الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- في تفسيره والذي يعد المرجع الأساسي في تفسير القرآن بالخبر والأثر، وكل نقطة من هذه النقاط تحتاج في تفصيلها إلى دراسة تفصيلية كاملة مستقلة.

والحمد لله رب العالمين●

من ذاكرة العلماء

ذكرياتي عن أول لقاء بمحدث العصر شيخنا الألباني

● بقلم: فضيلة الشيخ حمدي عبدالمجيد السلفي

كنت تخرجت في المدارس الدينية في كردستان على علماء أفاضل قرأت عليهم النحو والصرف والمنطق والبلاغة وعلم الكلام وأصول الفقه والفقه الشافعي والتفسير، على العادة المعروفة عند العلماء في كردستان، ولكني تأثرت بأحد مشايخي وهو الشيخ إسماعيل إلياس الكردي، حيث كان يدعو إلى محاربة البدع والخرافات على طريقة قديمة لعلماء الشافعية، مثل ابن المقري في تكفير أصحاب وحدة الوجود، فقرأت عليه آخراً شيئاً من تفسير المنار وبعضاً من نيل الأوطار، وبعضاً من منهاج السنة، ولم نكن نعلم هذه الكتب قبل ذلك.

ومما قرأت عليه مدح بعض العلماء لكتب «المحلى» و«المجموع» و«المغني» لابن قدامة، و«فتح الباري» للحافظ ابن حجر وكنت أحاول الحصول عليها.

وفي يوم من الأيام وأنا أزور مدينة (ديريك) في محافظة الجزيرة في سوريا لأطمئن على صحة أحد الطلبة الأقارب في الثانوية؛ دعاني أحد المدرسين لتناول الغداء عنده في شقته حيث إنه من مدينة دمشق، ويعيش بدون عائلة، فذهبت معه إلى شقته، فناولني عدداً من مجلة التمدن الإسلامي لأطالعه حتي يهيء الأكل، فتصفحت العدد فوقعت عيني على عنوان **(الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأمة)** فقرأت المقال بتمعن، وكان الكلام فيه على الحديث الموضوع

«اختلاف أمتي رحمة» فأعجبني المقال جداً، فقرأته مرتين، وكان المقال بقلم محمد ناصر الدين نوح نجاتي الأرناؤوط. ولم أكن أعرف من هو، فقال لي مضيفي: هل أعجبك المقال؟ قلت له: نعم جداً فقال لي: هل ترغب في الاشتراك في تلك المجلة؟ فقلت له: كيف؟ فقال لي: إنني أعرف رئيس تحريرها أحمد مظهر العظمة -رحمه الله- وسوف أكتب له ليرسل لك أعداد المجلة بانتظام، فشكرته على ذلك، وفعلاً وصلتني الأعداد بعد ذلك بانتظام.

وفي خريف سنة ١٩٥٤م جُمعَ عندي بعض المال، فرغبت أن أشتري كتاب فتح الباري، ولكن من أ ين وأنا في أقصى شرق سوريا ولا توجد فيه مكتبات لبيع الكتب؟ فعزمت على السفر إلى حلب لشراء الكتاب من مكتبة حامد عجان الحديد، وبعد وصولي إلى المكتبة قيل لي: لا يوجد الكتاب هنا، ولعله موجود في المكتبة العربية في دمشق، فذهبت إلى دمشق أبحث عن المكتبة المذكورة حتى دخلتها وإذا فيها شخص يدعى حمدي عبيد -رحمه الله- وبعد التحدث معه سألني عن اسمي فقلت له: أنا سميك ففرح جداً، ولكنه قال لي: الكتاب المطلوب غير موجود عندنا، ولعله في بيروت موجود.

ثم سألني: ماذا تعمل بالكتاب؟ فقلت له: سمعت باسمه وأنه شرح لصحيح البخاري، وأرغب أن أقتنيه لأستفيد منه.

ثم سألني: هل تعرف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني؟ فقلت له: لا فقال لي: هل ترغب في لقائه؟ فقلت له: هو الذي يكتب في مجلة التمدن الإسلامي؟ فقال: نعم فقلت له: أتمنى ذلك، ولكن كيف؟ فقال لي: أنا أرتب الأمر لك، فحمل جهاز الهاتف واتصل بالشيخ، وبعد دقائق رأيت رجلاً أوروبياً أشقر نزل من دراجة (بسكليت) على باب المكتبة يلبس (بانترونا) فضفاضاً، فدخل وسلم علينا وجلس، فبدأ يسألني بعض الأسئلة، ثم أخذني معه إلى دكانه الذي يعمل فيه تصليح الساعات، ثم استضافني معه إلى

منزله، وبعد أن أكلت معه ما قدم لنا، سألني: هل ترغب في حضور دروسنا حيث لنا دروس كل ليلة في بيت أحد الأخوة يحضره أناس من طلبة العلم الشرعي من مختلف الطبقات والمستويات؟ فقلت له: نعم، وزودته بعنوان الفندق الذي أنزل فيه ورقم الغرفة، وبعد صلاة العشاء جاءني أحد الأخوة واصطحبني معه إلى مكان الدرس، وداومت معه أسبوعاً على هذا الحضور ثم ذهبت إلى بيروت واشتريت كتاب فتح الباري، ورأيت أن ما معي من المال يكاد ينفد فاستأذنت من الشيخ ورجعت إلى بلدي.

وفي صيف سنة ١٩٥٥ جاءني خطاب من الشيخ بأنه رشحني للالتحاق بالدراسة في المملكة، وطلب مني العمل على حصول الجواز السوري، وصرفت كل جهدي إلا أنني لم أحصل على الجواز، وتأخر ذلك وفاتني الوقت فكلمني الشيخ بأنني سأرسلك السنة القادمة.

ولكني داومت فذهبت في خريف تلك السنةوحضرت أيضاً دروس الشيخ لمدة أسبوع أو أكثر، و هكذا ذهبت السنة التي بعدها، ثم انتقلت من سوريا إلى العراق في آخر سنة ١٩٥٧ لأسباب معيشية.

وقد تأثرت بتقريرات الشيخ لما يلقيه من الدروس، وكانت تلك الدروس بالنسبة لي شيئاً لم أعرفه سابقاً حتى ولم أسمع بها، فعكفت على ما أخذت منه من تلك الدروس وأذكر أنها كانت في كتاب الروضة الندية لمحمد صديق حسن خان، وكنت أنقل تعليقات الشيخ من هامش نسخته بقلم الرصاص في دفتر لي ولازلت أحتفظ بها، كما وأنني اطلعت على بعض مؤلفات الشيخ المخطوطة بخط يده مثل الروض النضير والتعليقات الجياد والتعليق الرغيب وأصل صفة صلاة النبي وتمام المنة ونقلت بعض الفوائد منها في دكان الشيخ.

وكنت أتأمل ما أخذته من علم الشيخ وأفكر فيما نحن فيه، حيث كنا على غير هدى حتى في دراستنا، ولم يكن لنا هدف معين من الدراسة، وفجأة اطلعت على مدرسة متكاملة فقهاً وحديثاً وتفسيراً

ومنهجاً متميزاً مبنياً على ما كان عليه السلف الصالح، فحرك ذلك فيَّ الرغبة الشديدة في تتبع ما ينشر للشيخ من رسائلة ومؤلفات حيث لم يفتني كتاب ولا رسالة ولا تعليق مما هو للشيخ إلا وحصلت عليه.

وعلمت من تتبعي لمؤلفات الشيخ عظمة الدعوة السلفية التي تبناها الشيخ وطريقته في دراسة الأسانيد، وجمع طرق الحديث والحكم عليها مطبقاً لقواعد المصطلح ومدققاً في تطبيقها؛ بحيث يذكرنا بما كان عليه نقاد الحديث من أمثال الدارقطني، والحافظ ابن حجر، وغيرهما من جهابذة أهل الحديث.

وهو الذي أحيا علم الحديث في هذا العصر -بتوفيق الله تعالى- وتسبب في نشرها، وإقبال الناس عليها، وتسبب في صحوة ونهضة حديثية يذكرنا بما كان عليه أصحاب الحديث في العصور الأولى. وهذا من فضل الله على الشيخ، وعلى الأمة الإسلامية في هذا العصر.

وهذا الذي قام ويقوم به الشيخ من نشر السنة، وتمييز ما صح من الأحاديث مما لا يصح دعى بعض الحاقدين عليه بل وعلى الدعوة السلفية؛ لنشكر الأكاذيب عن الشيخ والوشاية، به ولكن الحق سيظهر دائماً ويذهب الباطل زهوقاً.

ثم تعددت التهم من الحاقدين على اختلاف مشاربهم وغاياتهم، فمنهم من اتهمه بأنه صحفي لم يدرس على العلماء، ومنهم من اتهمه بالتحزب الذي ينكره الشيخ في كل المناسبات والمجالات، ومنهم من اتهمه في الفقه بأنه ليس فقيهاً و..و..

وكان من الأسباب الرئيسية لانتشار علم الحديث دعوة الشيخ إلى الجامعة الإسلامية للتدريس فيها؛ حيث التقى بالشيخ الآلاف من طلبة العلم، وأخذوا منه ماعنده من علم الحديث والفقه والمنهج الصحيح السليم الذي دعى إليه الشيخ من التصفية والتربية وفهم النصوص على منهج السلف الصالح.

وأخيراً نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفق الدعاة وطلبة العلم لما يحبه ويرضاه من الدعوة إلى ما عليه السلف الصالح، وتبني جميع المشاريع التي تزيد من شأن الدعوة، ويحفظهم من كل ما يحول بينهم وبين ذلك، والله ولي التوفيق●

وفاء ورثاء

السّنواء...[1]

● بقلم: أمةُ اللهِ الجزائرية

هُوَ المِدادُ يَسْتَصْعِبُ امْتِطاءَ السُّطورْ، وكأنَّ القَلَم ناكبٌ عَن ا لظُّهور، وها قدْ جرى المقدْور، ونجزَ المحذُور؛ وإنا لله وإنا إليه راجعون!

فلم يمْض الكثير والجرحُ ما نضا بَعْدُ[2]، حتى رُزئنا بشيخنا محدث العصْرِ ناصر الدين، وإنَّ هذا لهُوَ البلاءُ المُبين والخطبُ لوْ تعْلَمُون عسير، وإنَّها لَسَنْواء ولعمري إنّها لنَذير.

قال نبيُّنا ﷺ -بأبي وأمّي هو، ولنا فيه من مُصيبتنا أسْوة-: «**إنَّ اللهَ لا ينزع العِلْمَ انتزاعاً، ولكن يقْبِضُهُ بموتِ العُلماءَ، حتى إذا لم يَبقَ عالِمٌ؛ اتخذ النَّاس رُؤوساً جُهالاً، فاستفتوهم، فأفتوا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأضَلّوا**»؛ متفق عليه.

وقالَ أهلُ التفْسير عِنْدَ قوله -تعالى-: ﴿**أولَمْ يروا أنا نأتي الأرضَ ننْقُصُها مِنْ أطْرافَها**﴾ قالوا: هو ذهابُ العلماء: «تفسير ابن كثير» (٢ / ٨٠٥) .

وقال الحسنُ البصريُ عليه رحمة اللهَ: «إنَّ موْت العالم ثغرة لا تُسدُّ ما تعاقَبَ الليّل والنَّهار، فالله المسْتعان».

وإذا ماتَ ذو علْمٍ وتقوى
فقدْ ثُلِمتْ مِنَ الإسْلامِ ثُلمَة

وهكذاَ مُصابُنا اليوم؛ وقد أُصِبْنا بالشيخ الإمام الوالِدِ الطيب الهُمَام حسنة الأيام والزمان، حافظ الوقت العلامة المقدام محدث ديار الشام وكل الأقْطار سَواء المادح والذَّامُ؛ فما كَان يوْماً ممن استوطن هَذِهِ الديار؛ بل اتبع هدي نبينا ﷺ المختار وآثار صحبه الأخيار يشقُّ بهما الطريق إلى الدعوة السلفية ولا غبار. فكنت بحق يا

(١) السنة الشديدة؛ حيث فقدت الأمة الإسلاميةُ فيها إمامين عظيمين: ابن باز والألباني.

(٢) إشارةٌ إلى موت الشيخ العالم الزاهد الرباني: ابن باز -رحمه الله-.

شيخنا!

إذا ذُكـــرَ الأحـــبْار في كلّ بلدة

فـهـم أنْجُمٌ فـيـهـا وأنْتَ هِلالُها

وستبقى ويبْقى غُصْنُ عِلمك ناضِراً فقد كانت همتك في الثُريا.

وسُمْعتُكَ في ذُرى الأنجُمِ، عَرَفْناكَ وقد كُنْتَ أنْصَحَ الناس، أجْرى الله الحقَّ على قلبك ثمَّ إلى لِسانِكَ ثمَّ إلى قُلوب المؤمنين بَلْ وأظْهرك حتى على الناقِمين ﴿**وجحَدُوا بِها واسْتيقنتها أنفسهم**﴾.

كنْتَ مـثـالاً للجِدِّ والإخْلاص، خـالَط حُبُّ السّنةِ العطرة عَظْمك، حتى بدا ذلك على عِلْمك وفعلك وسلوكك، كنت ثابتَ الجـــأشِ لا تُرْهِبُهُ المواقِف ولَوْ كـــانَ مِنْ وَرَائِها ألْفُ واشٍ ومُوشٍ ومهوشٍ واقِف.

ولهـذا فـإنَ البليـة مِنْ بعـدك يا شَيـخَنا ستعظم وإنّها لمصيبةٌ عظيمةٌ، وضربة نجلاء أليمة فليت شعْري، كيف لا يعزُّ الصبر عليْكَ في زمَنٍ ابتلتنا فـيـه البليـات وشـوت علينا الآهات وقد غادرْتها وفي قَلْبِك منها كيات!

يومـهـا -والأجل يدنو- نصحت فكانت بحق نصيحة إمام السنة إلى عموم الأمة فيا سـامـعـون! هل أنتم بهـا عـاملون؟ عـسى ربُكمٌ أنّ يكشِف الغُمَّة ولو بعد سنين؟ فإنَّ وراءنا ليـلاً لائلاً وقـد قـال الشـيخ مبـارك الميلى -رحـمه الله-: «**إن الأمة إذا فقدَت العـالِمَ البـصيـر والدَّليل النَّاصح والمرشـد المهتـدي تراكـمت على عـقولها سـحائب الجهالات**»(١)

فكيف إذا ضُمَّ إليـهـا بَرْقُ الفُراق ورعْد الشِّقـاق، فكانت منهـا النواصح الكواسح الفواضح حتى بين الرِّفاق؟!!

فما للسلفية وللأمة الإسلامية يومها من خلاق.

فـالله الله في وصـيـتـه؛ خُذوا منهـا السُّمـاق وهلُمّو إلى الرفـاء(٢)؛ وإلاَّ فـمـا أنتم إلاّ غُثاء(٣).

وهُوَ صـاحِبُ الكلِمـة الحكيـمـة: (قُلِ كَلِمـتَكَ وامضِ، فـإنْ لم تر مـعْناها أنت فسيراهُ غـيرك مِنْ بَعْدِك) وها قد مَضيْتَ إلى ربّك؛ ونسـأله أن يجـزيك عنا وعن المسلمين خير الجزاء ويأجُرَنا في مصيبتنا هذه، ويخلفنا خـيـراً منهـا، وقـد رضـينا بقـضـاءِ الله وسلمنا بأمـرِ الله، ولوْ بَقِي أحدٌ لأحد لَبَقِي محمد ﷺ لأمتهِ؛ ولكن إنَّما كتبنا بقلم أضْناه الأسى، وقد رزحت الحال، وقوم مات خيارُهُم فهم المُرزؤون فكيْفَ النّكبةُ تهُون؟

(١) الجزائري في كتابه «الشرك ومظاهره».

(٢) الالتحام والاتفاق.

(٣) ما يجف فوق السيل مما يحمله الزبد من الوسخ وفتات الأشياء على وجه الأرض.

شؤون وبيان

خارجيّة عصريّة

● بقلم: الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي

● سئل الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في ليلة السابع عشر من ذي الحجة ١٤١٨هـ، في شريط بعنوان: «خارجية عصريّة»: حول كتاب «الإرجاء»: يا شيخنا! «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي» -لسفر الحوالي-؛ هل رأيته؟

قال الشيخ: رأيته، فقيل له: الحواشي -يا شيخنا-! خاصة الموجودة في المجلد الثاني.

فقال الشيخ: كان عندي أنا رأي صدر مني يوماً منذ نحو أكثر من ثلاثين سنة حينما كنت في الجامعة الإسلامية، وسئلت في مجلس حافل عن رأيي في جماعة التبليغ فقلت يومئذ: صوفيّة عصرية، فالآن خطر في بالي أن أقول بالنسبة لهؤلاء هنا -تجاوباً مع كلمة الذين خرجوا في العصر الحاضر، وخالفوا السلف في كثير من مناهجهم، فبدا لي أن أسمّيهم: «خارجية عصريّة»، فهذا يشبه الخروج الآن، حين نقرأ من كلامهم؛ فإن -في الواقع- كلامهم ينحو منحى الخوارج في تكفير مرتكب الكبائر، ولعل هذا -ما أدري أن أقول- غفلة منهم أو مكر منهم، وهذا أقوله أيضاً من باب قوله -تعالى-: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقوى﴾! ما أدري لا يصرحون بأن كل كبيرة مكفرة، لكنهم يدندنون حول بعض الكبائر، ويسكتون أو يمرّون على بعض الجوانب، وهذا من العدل الذي أُمرنا به.

● **التعليق:**

ينبغي أن ينتبه القارئ والسامع لقول الشيخ عن هذه الفئة بأنهم خالفوا السلف في كثير من مناهجهم.

فهذه المناهج الكثيرة التي خالفوا فيها السلف تدل على انحراف كبير، قد تكون أخطر وأشد من مخالفة الخوارج الذين وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم شر الخلق والخليقة، وبأنهم كلاب النار، وبأنهم يمرقون من الدين

مروق السهم من الرميّة، وبأنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

وما قاله الشيخ الألباني -رحمه الله- حق؛ فلقد خالفوا السلف في أصول كثيرة وخطيرة، منها:

١- حربهم لأهل السنّة وتنفير الناس منهم ومن كتبهم وأشرطتهم وبغضهم لهم ومعاداتهم وحقدهم الشديد عليهم.

٢- ومنها: موالاتهم لأهل البدع الكثيرة الكبيرة، وإقرارهم لمناهجهم الفاسدة وكتبهم المليئة بالضلال ونشرهم لها وذبهم عنها ودفع الشباب إلى العبّ والنهل منها مما كان له أسوأ الآثار على الأُمة وشبابها من تكفيرٍ وتدميرٍ وحروب مستمرة وسفك دماء وانتهاك أعراض.

٣- ومنها: أنهم قد دفعتهم أهواؤهم إلى رمي أنفسهم وأتباعهم في هوّة الإرجاء الغالي الذي أدى إلى التهوين من خطورة البدع الكبرى بما فيها البدع الكفريّة، **مما أوهن الحس السلفي والغيرة على دين الله** وحملته من صحابةٍ كرام ومن تبعهم بإحسان، بل التهوين من شأن الطعن في بعض الأنبياء.

٤- ومنها: أن أهواءهم قد دفعتهم إلى وضع المناهج الفاسدة للذب عن البدع وأهلها مثل منهج الموازنات بين الحسنات والسيئات، وما يدعمه من القواعد الفاسدة التي تؤدي إلى معارضة ما قرره كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وإلى هدم السنّة وعلومها لا سيما علم الجرح والتعديل الذي امتلأت به المكتبات بالإضافة إلى مساوئ أخرى وضلالات.

نسأل الله أن ينقذ الشباب من شرور هذه الفئة وويلاتها وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة.

وفي النهاية: ينبغي أن يوصف هؤلاء بأنهم: غلاة مرجئة العصر، قبل وصفهم بأنهم: خوارج العصر.

مسك الختام

من خصائص دعوتنا: تحرير العقول

● بقلم: التحرير

من خصائص دعوتنا (التحرير)، وأول يد بيضاء لها في هذا الميدان (تحرير العقول من الأوهام والضلالات) في الدنيا والدين، و(تحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال)، وإن تحرير (العقول) و(النفوس) لأساس لتحرير (الأبدان)، وأصل له، ومحال أن يتحرر (بدن) يحمل (عقلاً) عبداً(!)

إن هذا النوع من (التحرير) لا يقوم به، ولا يقوى به إلا العلماء الربانيّون المصلحون، فهو أثر طبيعي للإصلاح المنشود.

(التحرير) العقلي والمنهجي الذي ننادي به هو الذي أساسه (توحيد الله)، وبه -فقط- توقظ في الأمة قوة (التمييز) بين (الصالح) من الرجال، و(الصحيح) من المبادئ، وبين الطالح والزائف منها.

وبهذا (التحرر) ترتاح الأمّة من أصنام تتعبدها باسم (الدين) أو باسم (السياسة).

وبهذا (التحرر) تُزرع البذرة الأولى لما يسمى (الرأي العام)، وتكوّن الرأي العام بمعناه الصحيح، وهو بلوغ الرشد بالنسبة إلى الأفراد والجماعات.

وحينها فقط، نبتعد عن (الطنطنة) لعشاق المظهار والتهاويل، وندع (الأصداء الفارغة) ودعوى (المتشبعين) بما ليس فيهم، ونعمل بـ (الحقيقة) التي لا تدحض، و(الحجة) التي لا تنقض، ولا نبالي في (مواقفنا) بـ (مواقعنا)، لا بمن طار، ولا بمن وقع●